دراسة فى الأديان
(١)

الوحى والملائكة
فى
اليهودية والمسيحية والإسلام

لواء أحمد عبد الوهاب

دراسة فى الأديان
(١)

الوحى والملائكة
فى
اليهودية والمسيحية والإسلام

لواء أحمد عبد الوهاب

الطبعة الأولى

ربيــع الآخر ـ ١٣٩٩ هـ
مـــــارس ـ ١٩٧٩ م

هـــذه السلسلة :

بسم الله

الذى قال فى التوراة :

« انا الرب الهك .. لا يكن لك آلهــة اخرى »

وقال على لسان أشعياء :

« قبلى لم يصور اله وبعدى لا يكون .. انا الرب ولا اله غيرى »

وصلى اليه المسيح قائلا فى الانجيل :

« وهذه هى الحياة الأبدية : ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

وقال لنبيه فى القــرآن :

« فاعلم أنه لا اله الا الله » .

«والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

« قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقــاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

بسم الله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشريك والمثل ، تبدأ هــذه **السلسلة : « دراســة الأديان » ــ لتــكون دعــوة « الى الله على بصــيرة » فى زمن تلح فيه مطالب الأمن والســـلام على الانسان أن يعــود سريعا الى الله .**

***

تقـديم

ماذا يريد الانسان ... ؟

انه يريد ـ أولا ـ تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحيـاة المستمرة ...

انه ـ باختصار ـ يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبـع لا يريد مضادات السـعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب ...

ان الانسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون ـ كبشر ـ ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وان اختلفت مفاهيمها لديهم ـ في بعض الأحيان ـ عن تلك التي يسعى من أجلها غيرهم .

* *

وتحـدثنا الكتب المقدسـة عما يسعد الانسان ويشقيه ، فتعـده بالأولى اذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية اذا تمـرد على المنهج الالهى ، وجعل الشيطان له قرينـا .

ونتبين من التـوراة مطالب السعادة التي يرجوها الاسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التي جاء بها موسى :

« اذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياى وعملتم بها : أعطى مطركم في حينه ، وتعطى الأرض غلتها .. فتأكلون خبزكم وتسكنون في أرضكم آمنين .. وتطـردون أعداءكم بالسيف .. والتفت اليـكم واثمركم وافى ميثاقى معكم .. وأكون لكم الهـا وتكونون لي شعبا .

ـ لا وبين ٢٦ : ٣ ـ ١٢ »

كما تحدد لنـا التـوراة عناصر الشقاء التي يحذرها الاسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن أن لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم فرائضى ، وكرهت انفسكم أحكامى .. فانى أعمل هذه بكم : اسلط عليكم رعبا وسـلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم واجعل وجهى ضـدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم .. واصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس .. واصير مدنكم خربة .. وأذريكم بين الأمم ، واجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم

موحشة .. والباقون منكم القى الجبانة فى قلوبهم فى أرض أعدائهم .. فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم — لاويين ٢٦ : ١٤—٣٨ » .

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الاسرائيليين — وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية — انما هى امور تتعلق بالحياة الدنيا .

فاليهودى لا يرجو الا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر الا شقاءها .

❁

اما الانجيل ، فلا ترجى فيه السعادة الا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهيرة :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون — لوقا ٦ : ٢٠ — ٢١ » .

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ .. بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ — متى ٦ : ١٩ — ٢٠ » .

كذلك لا يحذر الانسان شقاء الا شقاء الآخرة :

« ان اعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضى الى جهنم الى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان اعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أعرج من ان تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ — مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٨ » .

ويذكر الانجيل بوضوح على لسان المسيح ، انه محال الجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء واصحاب الممتلكات الدنيوية ، اذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للأغلبية الساحقة منهم — ان لم يكونوا جميعهم — سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر احد أن يخدم سيدين .. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لاجسادكم بما تلبسون — متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ »

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك الى ملكوت الله .. مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله — مرقس.١٠:٢٣—٢٥ ».

❋

واما فى القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »
(البقرة : ٢٠٠ — ٢٠١)

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .. والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون .. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما .

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما .. خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » . (الفرقان : ٦٣ — ٧٦) .

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .
(الأعراف : ٣٢)

ولقد جمع ابراهيم أبو الأنبياء بين خيرى الدنيا والآخرة ، اذ قال الله فيه :

« جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه أجره فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . (العنكبوت : ٢٧)

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » . (القصص : ٧٧)

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا انفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . (الأعراف:٩٦).

وكان قول هود لقومه عاد :

« يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » . (هود : ٥٢)

وحين يتمرد الانسان على منهج الله فعليه ان يتوقع الشقاء ، لا فى الاخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » . (الروم : ٤١)

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » . (النور : ١٩)

« فان يتوبوا يك خيرا لهم ، وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة » . (التوبة : ٧٤)

هذا — ولما كانت الحياة الآخرة حياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل أن يوجه همه الى الآخرة وأن يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة . **من اجل ذلك كان على المسلم ان يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه أن يؤثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك ان يعترف بشقاء الدنيا والآخرة ، الا ان ما فى الآخرة اشد واقسى :**

« فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » . (النازعات : ٣٧ — ٤١)

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » . (القصص : ٨٣)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » . (الأنعام : ٨٢)

« لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » . (الأنعام : ١٢٧)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها ، وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم » . (لقمان : ٨ — ٩)

* *

وخلاصة القول فى النظر الى سعادة الانسان وشقائه ، أنها فى اليهودية دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية اخروية فحسب ، بينما هى فى الاسلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

وايا كان الحال ، فكيف يحقق الانسان المؤمن بالله سعادته المنشودة او على الأقل كيف يتخلص من الشقاء فى حاضره ومستقبله ؟

لقد اجمعت الكتب المقدسة على أن المدخل الوحيد لذلك هو باب البر ومشتقاته .

على الانسان ان يكون بارا لكى تلفظ حياته الشقاء ويحيا ابدا فى النعيم .

عندئذ يتحرر من كل الشرور والأهوال ، ولو كانت أهوال الآخرة :

« لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الأنبياء : ١٠٣)

فالبر صفة من صفات الله ، بهذا قال المسيح :

« أيها (الرب) البار ، ان العالم لم يعرفك .. وهؤلاء عرفوا انك أرسلتنى — (يوحنا ١٧ : ٢٥) » .

وكان الأنبياء بررة ، هكذا « كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله — (تكوين ٦ : ٩) » .

ولذلك لم يهلكه الله مع الهالكين فى الطوفان :

« وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك الى الفلك ، لأنى اياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل — (تكوين ٧ : ١) » .

وكان ابراهيم بارا ، وقد استحق هذا اللقب وما يترتب عليه من عطاء الهى كريم ، بعد أن آمن بصدق الوعد الالهى بتكثير نسله ، فى الوقت الذى ما زال فيه عقيما ، وكان نسله بظهر الغيب :

« أخرجه (الرب) الى خارج وقال له انظر الى السماء وعد النجوم . ان استطعت أن تعدها وقال له هكذا يكون نسلك .

فآمن بالرب ، فحسبه له برا — (تكوين ١٥ : ٥ — ٦) » .

وفى هذا يقول بولس :

« اذ لم يكن (ابراهيم) ضعيفا فى الايمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا اذا كان ابن نحو مئة سنة .. ولا بعدم ايمان فى وعد الله ، بل تقوى بالايمان معطيا مجدا لله .وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا . ولذلك أيضا حسب له برا — (رومية٤:١٩—٢٢)» .

وشهد ابراهيم للوط ومن معه من المؤمنين بأنهم ابرار ، ولذلك كان يجادل الملاك الذى جاء لاهلاك المدينة الظالمة ويقول له :

« أفتهلك البار مع الأثيم . عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من اجل الخمسين بارا الذين فيه ؟ ! — (تكوين ١٨ : ٢٣ — ٢٤) » .

وتقول المزامير :

« لا تقوم الأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار . لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، اما طريق الأشرار فتهلك — مزمور ١ : ٥ — ٦ » .

« كلمة الرب مستقيمة ، وكل صنعه بالأمانة ، بحسب البر والعدل — مزمور ٣٣ : ٤ — ٥ » .

وكان يوسف النجار خطيب مريم بارا :

اذ « لما وجدت (مريم) حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها اراد تخليتها سرا — متى ١:١٨—١٩» .

وكانت عقيدة المؤمنين بالمسيح فى عصره أنه انسان بار :

« فلما رأى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الانسان بارا — لوقا ٢٣ : ٤٧ » .

وفى القرآن الكريم نجد أن الأصل اللغوى للبر يكون احدى صفات الحق سبحانه :

« انا كنا من قبل ندعوه ، انه هو البر الرحيم». (الطور : ٢٨)

كما انه من صفات الملائكة ، كما قال تعالى :

« فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدى سفرة . كرام بررة » . (عبس : ١٢ — ١٦)

والبر من صفات الأنبياء ، كما قيل فى شأن يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم :

« وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا » . (مريم : ١٤)

« وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا » . (مريم : ٣٢)

ولذلك كان دعاء المؤمنين — وما زال — هو أن يكون عاقبة أمرهم مع الأبرار :

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » . (آل عمران : ١٩٣)

وما ذلك الا لأن الأبرار لهم خير عقبى وأكرم مستقر :

« ان الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » . (المطففون : ٢٢ — ٢٤)

ومن المتفق عليه بين المسيحية ، والاسلام أن البر باعتباره السبيل الوحيد للخلاص ، يتركب من نواة هي الايمان تغلفها الأعمال الصالحات. وكما تنهار الذرة اذا تحطمت نواتها ، كذلك ينهار البر اذا فقد الايمان .

« أيها الانسان .. ان الأيمان بدون أعمال ميت . الم يتبرر ابراهيم ابونا بالأعمال اذ قدم ابنه .. على المذبح . فترى أن الايمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الايمان » . (يعقوب ٢ : ٢٠ — ٢٢)

والقول الفصل فى حقيقة البر ، هو ما يقوله القرآن الكريم :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . (البقرة : ١٧٧)

من هذا نتبين ان البر مرادف للتقوى والصدق مع الله ، وان الأساس الذى يقوم عليه هو الايمان بالله . فالايمان أصل الأصول وجوهر الحقيقة ، وبدون الايمان يتحقق دمار الانسان . ولا يتحقق الايمان بالله الا بتوحيده توحيدا خالصا من كل شرك ، وتنزيهه — سبحانه — عن الشبيه والمثيل .

*

لقد عرفت البشرية الايمان عن طريق الأنبياء والمرسلين ، وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى ، كانت للملائكة فيه اليد الطولى . ولقد وصل وحى الله الى الناس شفاها وكتابة ، ثم جمع وسجل فى كتب مقدسة ، ومن ثم كان على المؤمنين بالله ، أن يؤمنوا كذلك بالملائكة والوحى، ودعاة الهدى من الأنبياء والمرسلين ، وأن يؤمنوا بكتب الله المنزلة من عنده الخالصة من التغيير والتبديل .

من اجل ذلك نستفتح هذه السلسلة : دراسة فى الأديان — بهذا الكتاب الذى يتحدث فى فصليه الأول والثانى عن ركيزتين من ركائز الايمان هما : الملائكة والوحى ، ثم زيد عليهما فصل ثالث يتحدث عن الجن ، تلك المخلوقات الخفية التى يعتبر الايمان بها من نتائج الايمان بالدين . واذا كان انسان القرن العشرين يتطلع الى اكتشاف عوالم غريبة عنه فى جنبات الكون الواسع الرهيب ، فكيف به يتنكر لعالم الجن القريب منه حسبما أخبرته بذلك الكتب المقدسة .

لا شك أن الايمـان بوجود الجن يحـل للانسان كثيرا من المشـاكل والألغاز التى قد تحير فكره وتوقعه فى متاهات من الالاعيب والأوهام .

ومن المتفق عليه بين اليهودية والمسيحية والاسلام ان قوة الايمـان تتجلى فى التصديق بالأمور الغيبية . وركنه الركين هو الايمـان بالله ، فانه سبحانه لم ينظره احد قط .

« لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » .
(الأنعام : ١٠٣)

فالحق ـــ جـل جلاله ـــ لا يدركه الانسان الا ببديع خلقـه ، وآثار رحمته ، وجبروت قوته ، وعظائم أمره .

والملائكة والوحى والنبوة تعتبر ـــ بوجـه عام ـــ من الأمور الغيبية التى تتطلب الايمان بها ، وهو ايمان يقوم على كونها حقائق بجانب اعتبارها عوامل ضرورية تدفع الانسان للايمان بالله . وهى حقائق تدرك وليس من اللازم أن ترى ، تمـاما كمـا أن قوى الطبيعة من مغنطيسية وجاذبيـة تدرك ولا ترى ، وقد أوجبت الكتب المقدسة الايمان بها .

« أما الايمان فهو الثقة بما يوحى والايمان بأمور لا ترى ، فانه فى هـذا شهد للقدماء .. بالايمان نوح لمـا أوحى اليه عن أمور لم تر بعـد خاف فبنى فلكا لخـلاص بيته ، فيه دان العـالم وصار وارثا للبر للذى حسب الايمان ـــ عبرانيين ١١ : ١ ـــ ٧ » .

ويقول الانجيل :

« طوبى للذين آمنوا ولم يروا ـــ يوحنا ٢٠ : ٢٩ » .

ونقرأ فى القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هذه الآيات التى تقـــرر جمـاع الأمر كله :

الـم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هـدى للمتقين .

الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

والذين يؤمنون بما انزل اليك ، وما انزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (البقرة١ـ٥).

وفى جميع الأحوال لابد أن يقوم الايمان على برهان ، والا فسـدت العقائد ، وسار كل حسب هواه .

ومن البراهين التى إقامها القـــرآن للنـاس على وحدانية الله ـــ تعالى ـــ قوله :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون .. أم اتخذوا من دونه آلهة !

قل : هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى ، وذكر من قبلى ، بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » . (الأنبياء : ٢٢ — ٢٤)

والله اسأل ان يهدى الناس الى الايمان الحق ، فيتحقق فيهم قول الحق :

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها ، جزاء بما كانوا يعملون » (١) .

احمد عبد الوهاب

---

(١) سورة الأحقاف : ١٣ — ١٤ .

الفصل الأول

الملائكة

الملائكة

حين يذكر لفظ الملائكة تأتى على الفور الى أفكار السامعين او القارئين وخيالاتهم صور الخلائق العلوية الجميلة ، المبرأة عن الكدر والخطيئة ، المكللة بالبهاء والجلال .

ولقد اتفق الناس على هذه الصورة المشرقة للملائكة وسطروا ذلك فى نتاج أفكارهم من فنون وآداب .

ونود هنا أن نلمس الحقيقة فى موضوع الملائكة ــ هذه المخلوقات النورانية ــ التى كثر الحديث عنها فى الكتب المقدسة .

*

من الطبيعى أن يرتبط الحديث فى هذا الكتاب عامة ــ وموضوعه : الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والاسلام ــ بالحديث عن الله سبحانه . وبادىء ذى بدء نقرر قاعدة أصولية يجب ألا تغيب عن الأذهان ولو للحظة واحدة ، وهى أن :

كل قول او حديث يستطيع ان يرسم فى اذهان البشر صورة لله ، فهو قول باطل وحديث خرافة يتنافى مع اساسيات العقيدة نقلا ، وعقلا . ويمكن البرهنة على حقيقة هذه القاعدة من نصوص الكتب المقدسة .

تذكر التوراة أن موسى اشتاقت نفسه لرؤية الله ، فكان اليه وحى الله : « **لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش ــ خروج ٣٣ : ٢٠** » .

ويقول الوحي على لسان اشعياء : « بمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلون به ؟ ! ــ أشعياء ٤٠ : ١٨ » .

ويقول يوحنا : « الله لم ينظره أحد قط ــ الرسالة الأولى٤: ١٢ » .
ويقول القرآن :

« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » . (الشورى : ١١)

لقد كان هذا تقريرا لابد منه ، حتى اذا ما اصطدم القارىء بنص من كتاب مقدس يتحدث عن الله كما لو كان يتحدث عن شيء مادي محدود

الأبعاد والخواص ، كان عليه أن يرد الخطأ فى ذلك النص الى قصور فى فهم الكاتب وانحراف فى تفكيره .

* *

الملائكة فى أسفار العهد القديم

ظهرت الملائكة فى صور بشرية لتخاطب الصالحين من البشر وترشدهم الى ما يصلح امورهم .

فقد جاءت الملائكة ضيوفا الى ابراهيم وهم يتمثلون بشرا من الرجال حتى انه حسبهم عابرى سبيل فقام يجهز لهم مائدة من الطعام . وفى ذلك يقول سفر التكوين :

« فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفين لديه .. فلما نظر ركض لاستقبالهم ..

وقال .. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت الشجرة .. فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » .

ويدعى كتبة الأسفار أن الملائكة اكلت من طعام ابراهيم ، اذ قالوا له :

« هكذا نفعل كما تكلمت .. واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا — تكوين ١٨ : ٢ — ٨ » .

ويبدو ان الكلام عن ممارسة الملائكة لمتطلبات الحياة البشرية وطبائعها من إكل وشرب وخلافه — وذلك حين تظهر للناس فى صور بشرية — انما يرجع اساسا الى ما جمح به خيال كتبة سفر التكوين عند حديثهم عن بدء الخليقة واقتباسهم أساطير تقول بحدوث تزاوج وانجاب نسل بين الملائكة — الذين دعوهم أبناء الله — وبين الفتيات الجميلات من بنات حواء . وفى هذا قالوا :

« وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ان ابناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا . وبعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم .
(تكوين ٦ : ١ — ٤)

*

وجاء ملك فى صـــورة رجل الى أبوى شمشون وهما بعد عاقرين ليبشرهما بوليـــد منتظر : « فتراءى ملاك الرب للمـراة وقال لهـا ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابنـا ...

فدخلت المرأة وكلمت رجلهـا قائلة : جاء الى رجل الله ومنظـره كملاك الله مرهب جدا ..

فقام منـوح وسار وراء امرأته وجاء الى الرجـل .. فقال .. عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنوح — قضـاة ١٣ : ٢ — ١٣ » .

وعندما عرف منوح أن ذلك الرجل هو ملاك الله ، دفعه خياله الى الظن بأنه شاهد الله وعليه بعد ذلك أن ينتظر الموت :

« حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب . فقال منوح لامرأته نمـوت موتا لأننا قد رأينا الله — قضاة ١٣ : ٢١ — ٢٢ » .

والذى حدث بعد ذلك أن منوح وامرأته لم يموتا سريعا كما توقـع لأنه أخطأ الفكر والقول فما رآه لا يمكن أن يكون سوى ملاك الله .

❋

وقد زل قلم كتبة الأسفار حين جعلوا الملائكة أبنـاء الله . فهـذا سفر أيوب يحكى عن مجمع مقدس فى حضرة رب الســماء والأرض — سبحانه — حضره الشيطان مع الملائكة وجرت فيه كوميديا الهيـة تقول بعض فصولها :

« كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان من أين جئت .. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها ... — ١:٦—٧ ، ٢ : ١ — ٢ » .

❋

وظهر الملاك جبريل فى صورة رجل من البشر ، ليعلم النبى دانيال ويفسر له رؤيا شاهدها فى منامه :

« وكان لمـا رأيت أنا دانيـــال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشـبه انسان واقف قبالتى . وسمعت صوت انسان بين أولاى . فنـــادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا . فجاء الى حيث وقفت ولمـا جاء خفت وخررت على وجهى ، فقــال لى افهم يا ابن آدم ان الرؤيا

لوقت المنتهى واذ كان يتكلم معى كنت مسبخا على وجهى الى الأرض ، فلمسنى وأوقفنى على مقامى ، وقال هانذا اعرفك ما يكون — دانيال ٨ : ١٥ — ١٩ » .

واستمر دانيال يرى جبريل على هيئة بشرية فى مواقف أخرى :

« وبينما انا أتكلم واصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى .. اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا لمسنى عند وقت تقدمة المساء وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم — دانيال ٩ : ٢٠ — ٢٢ » .

*

ويستطيع الصالحون من البشر أن يروا الملائكة فى طبيعتها النورانية رؤية تحسها أعينهم تماما كما تحس رؤية الأشياء المادية ، وكما تحس غير الماديات مثل ضوء الشمس ونور القمر وألوان طيف الضوء الأبيض .
ولقد كان هذا هو الحال مع موسى فى بدء تلقى الوحى :

« واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب » .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم — خروج ٣ : ١ — ٣ » .

وكذلك رأى أشعياء الملائكة فى طبيعتها وهى ذات أجنحة :

« لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه ، وباثنين يغطى رجليه ، وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس ، رب الجنود مجده ملء الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا — أشعياء ٦ : ٢ — ٤ » .

*

هذا — وبعد ان نصرف النظر تماما عما قيل عن اطعام الملائكة ، وتزاوجهم مع البشر ، واعتبارهم ابناء الله والخلط بينهم وبينه — سبحانه — نجد أن الملائكة فى أسفار العهد القديم تعتبر مخلوقات علوية ، تتعامل مع عبيد الله المختارين — مثل الأنبياء والصالحين — بالتعليم والهداية والرعاية . ويستطيع الأنبياء مشاهدتها فى طبيعتها النورانية كما أنها غالبا ما تشاهد متمثلة أشباها من الرجال .

* * *

الملائكة فى العهد الجديد

جاء الملاك جبريل على هيئة رجل من البشر رسولا من الله الى مريم يبشرها بمولد المسيح :

« ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم .

فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة أنت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله .

وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع — لوقا ١:٢٦—٣١».

❋

والملائكة واجبات واعمال مثل رعاية الأنبياء والمرسلين وخدمتهم ، كما كان الأمر مع المسيح ، بعد أن اعتمد من يوحنا ، ونجح فى اجتياز الفتنة التى جربه بها الشيطان :

« وكان هناك فى البرية اربعين يوما يجرب من الشيطان . وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه — مرقس ١ : ٣١ » .

« وقال المسيح الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان (المسيح) — يوحنا ١ : ٥١ » .

❋

وحين تظهر الملائكة للبشر فى طبيعتها النورانية ، فانها تكون فى هيئة وضاءة مشرقة :

« ملاك الرب نزل من السماء .. وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج — متى ٢٨ : ٢ — ٣ » .

❋

وللملائكة علم لكنه محدود بالقدر الذى حددته مشيئة الله . فهناك من الأمور ما عميت انباؤه على كل المخلوقات ومنهم الملائكة والمسيح ، ومن هذه الامور موعد يوم القيامة :

« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحـد ولا الملائكة الذين فى السماء الا (الله) وحده ــ مرقس ١٣ : ٣٢ » .

وفى محاورة بين المسيح والصدوقيين ، وهم طائفة من اليهود الذين لا يؤمنون بالقيامة ، ذكر أن المؤمنين الصالحين سـوف يحيون هنـاك مخلدين كالملائكة لا يذقون الموت لانهم أبناء الله كما يزعم كتبة الأسفار :

« لا يستطيعون ان يموتوا ايضا لأنهم مثل الملائكة وهم ابنـاء الله اذ هم ابنـاء القيامة ــ لوقا ٢٠ : ٣٦ » .

❋

وللملائكة عمـل فى يوم القيـامة ، اذ يعهد اليهم بفرز الأبرار من الاشرار ، ثم طرح الآخرين فى نار جهنم . فلقد قال المسيح :

« يشبه ملكوت السماوات شبكة مطروحه فى البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصـعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعـوا الجياد الى أوعية وأما الأردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون فى انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من الأبرار . ويطرحونهم فى أتون النار . هنـاك يكون البكاء وصرير الأسنان ــ متى ١٣ : ٤٧ ــ ٥٠ » .

❋

ويزعم كتبـة الأسفار أن من الملائكة من سار وراء رغباته وضـل ، ولم يجنب نفسه هوان المعصية فاستحق بذلك العذاب المهين وقد جاء فى ذلك قولهم :

« الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسـل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ــ (٢) رسالة بطرس ٢ : ٤ » .

« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام ــ رسالة يهوذا ١ : ٦ » .

ولبولس آراؤه فى الملائكة ، فهو يزعم انه سيحاكمها فى اليوم الموعد :

« الستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم .. الستم تعلمـون أننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة ــ (١) كورنثوس ٦ : ٢ ــ ٣ » .

ويضـع كاتب الرسالة الى العبرانيين الملائكة فى مرتبـة أعلى من المسيح :

« لكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة — عبرانيين ٢ : ٩ » .

*

فمما سبق تقرر اسفار العهد الجديد ان الملائكة مخلوقات تستطيع الظهور فى هيئة بشرية ، او فى صورة نورانية ، والملائكة علم ، وعليهم تكاليف وواجبات ، ولهم ارادة حرة .

* * *

الملائكة فى القرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير فى موضوع الملائكة ، ويتحدث عن اعمالهم فى الكون ، وعلاقتهم بالانسان ، فى الدنيا والآخرة

فالملائكة هم رسل الله الى عباده المكرمين من بنى الانسان ، وحين تاتيهم الملائكة فى طبيعتها المضيئة فانها تشاهد على شكل جسم من النور له اجنحة نورانية متعددة :

« الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير .

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . (فاطر : ١ — ٢)

وحين تظهر الملائكة فى طبيعتها النورانية فانها تتراص فى صفوف منتظمة ، تسبح لله ، وتتلو آياته ، فتلهم الحق والخير ، وتزجر عن الكفر والشر :

« والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . ان الهكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . (الصافات : ١ — ٥)

*

وقد تظهر الملائكة فى صورة رجال من البشر ، ولكن هذا لا يعنى انها تمارس ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز ، مثل الاكل والشرب وغيره .

ولقد جاء جبريل الروح الأمين الى مريم لينفـذ مشـيئة الله بمولد المسيح منها بنفخة قدسية ، وكان متمثلا صورة رجل من البشر :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسـلنا اليهـا روحنـا فتمثـل لهـا بشرا سـويا »
(مريم : ١٦ — ١٧)

ولمـا جاءت الملائكة ابراهيم تبشره بمولد ابنه اسحق كانت على هيئة رجال من البشر . ولمـا لم يكن ابراهيم قد عرفهم بعد ، فانه سارع باعداد وليمة لاطعامهم ، لكن الملائكة احجمت عن الطعام ولم تمـد أيديها له ، فشعر ابراهيم لذلك بالخوف والريبة :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفـة قالوا لا تخف انا ارسـلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشىء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » . (هود: ٦٩—٧٣)

❋

وللملائكة علم وفكر ، ولهم منطـق وفهم يناقش الامور ويتـدبر الحوادث ويعرضها للمنطق والاستنباط .

فحين اقتضت الحكمـة الالهيـة خلق آدم واستخلافه فى الأرض ، بدا شىء ما فى تفكير الملائكة ، إذ اعتقدوا أن خلافة الله فى الأرض أولى بها العـابدون المطهرون من الخطايا عن أن تكون لمخلوقات لها القـدرة على سـفك الدم والافساد فى الأرض . لكن الملائـكة لمـا علموا بعد ذلك أن الفهم والعلم الذى تميز به آدم علاوة على اقبـاله على العبادة والتسـبيح بحمـد الله — كل ذلك يؤهله وذريته للخـلافة — فعندئذ أدركت الملائكة قبسا من الحكمة الالهية :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسـماء كلهـا ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسـماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك

لا علم لنـــا الا ما علمتنـــا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبـــأهم باسمائهم ، قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السمـــاوات والأرض واعلم ما تبـــدون وما كنتم تكتمـــون » .
(البقرة : ٣٠ — ٣٣)

ان هذا يبين لنا اهمية العلم فى حياة الانسان ، فكما كان العـلم هو اصل الفضل والتكريم لآدم فى المـاضى ، فلا شك ان مصير البشرية وما ينتظرها فى حاضرها ومستقبلها ، مرتبط تمـاما بالتقدم العـلمى وامكانية اتخاذه طريقا الى الخير يقرب الى الله ، او استخدامه فى الشر طريقا مدمرا خطه الشيطان .

❋

وللملائكة احاسيس ، فهم يخشون الله ، وينفعلون فزعا من رهبـة المواقف والتجليات الالهية :

« ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخـافون ربهم من فوقهم ويفعـلون ما يؤمرون » .
(النحل : ٤٩ — ٥٠)

حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحـق وهو العلى الكبير » . (سبأ : ٢٣)

❋

والملائكة درجات عند الله ، ولكل منهم مقام لا يتعداه :

« وما منا الا له مقام معـلوم . وانا لنحن الصـــافون . وانا لنحن المسبحون » . (الصافات : ١٦٤ — ١٦٦)

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله سميع بصير » .
(الحج : ٧٥)

والروح طبقة عليا من طبقات الملائكة — وهو من الطبقات المتميزة التى يعهد اليها بالأعمال المتميزة ، مثل السفارة بين الله والمكرمين من رسله ، الذين تنزل اليهم كتب الله ، آيات تتلى على مسامع البشرية . ولقـد كان جبريل هو الروح القدس الذى نزل بالقرآن على محمد خاتم النبيين :

« وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » . (الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥)

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » . (النحل : ١٠٢)

❋

والمؤمنون الصالحون درجات يتقدمهم طبقة ممتازة هم المقربون الى الله — سبحانه — من اجل ذلك يمنحهم الله عطاءا خاصا من عنده ، اذ يؤيدهم بروح من الملائكة يرعاهم ، ويعلمهم ، ويبشرهم بالخيرات :

« أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » . (المجادلة:٢٢)

ولما كان المسيح من انبياء الله المقربين ، فقد أيده الله بالروح القدس، ارقى الأرواح ، وهو جبريل الأمين :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، أسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » . (آل عمران : ٤٥)

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » . (البقرة : ٥٣)

❋

ولقد جعلت الملائكة رحمة للانسان . تحفظه من الأذى ، وتحميه من فعل الأرواح الشريرة ، وتحفظ عليه حياته الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام : ٦١)

وقد يعهد الى بعض الملائكة بمهام خاصة مثل رعاية بعض خلق الله المكرمين وحفظهم من شرور وعذاب منتظر .

وتتعاقب الملائكة على رعاية ذلك العبد الصالح وحفظه ما بقى سائرا فى الطريق الى الله ، وممسكا زمام نفسه عن التردى فى هاوية الخطايا والشهوات :

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » . (الرعد : ١١)

❋

وللملائكة واجبات واعمال تقوم بها فى الكون الواسع ، وتتدخل احيانا فيما يبدو للانسان كانه ظواهر طبيعية ، سواء فى العالم الخارجى المحيط به او فى عالم نفسه وما يعتريها من افكار والهام وخطرات نفس ولهذا اقسم الله بها فى مواضع كثيرة من القرآن :

« والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا . عذرا أو نذرا » . (المرسلات: ١-٦)

*

ولقد كانت الملائكة مع رسول الله فى هجرته من مكة الى المدينة ، وهم الذين تكفلوا باحباط كل مؤامرات المشركين لقتله والتخلص منه :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » . (التوبة : ٤٠)

وتتدخل الملائكة فى الحرب لتحقق النصر ، كما حدث مع المسلمين فى غزوة بدر ، وفى غزوة الاحزاب ، ويكون تدخلهم غالبا بتثبيت المنتصرين وتوجيههم الى وسائل تحقيق النصر .

ففى غزوة بدر كان المسلمون قلة فى العدد والتسليح لا يتميزون الا بما اطمئنت به قلوبهم من عقيدة التوحيد الخالص ، والثقة فى نصر الله ، الذى سعوا اليه بالعزم الصادق والتضرع الخالى من الغرور والكبرياء :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » . (الأنفال : ٩ — ١٣)

وفى غزوة الاحزاب تدخلت الملائكة لصالح المسلمين — وكان ما فعلته بالكافرين ، وما القته فى قلوبهم من الرعب كفيلا بردهم خائبين منهزمين :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ..

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . (الأحزاب : ٩ ، ٢٢ — ٢٥)

❋

وتبشر الملائكة المؤمنين الصادقين فى هذه الحياة بما يطمئنهم على مستقبلهم فى الحياة الآخرة ، فتمنحهم بذلك طاقات هائلة من اليقين والثبات ، يستعينون بها على شهوات الحياة وآلامها :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » . (فصلت : ٣٠ — ٣٢)

وحين يتعرض المؤمنون لغمرات الموت فان الملائكة تبشرهم بالخيرات، وتبعث فى نفوسهم الأمن والسكينة فلا يضطربون وهم ينتقلون من هذه الحياة الفانية الى أطوار تلك الحياة الباقية :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . (النحل : ٣٢)

واذا ما انقضت هذه الحياة ، وجاء يوم القيامة ، وهو يوم الفزع الأكبر لهول ما يصيب الكون من اضطراب ، فان الملائكة تستمر فى رعايتها للمؤمنين :

« لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الأنبياء : ١٠٣)

وفى الجنة ينعم المؤمنون بالملائكة رفقاء نعمة وسلام :

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد الله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .
(الزمر : ٧٣ — ٧٥)

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . (الرعد : ٢٣ — ٢٤)

*

وعلى النقيض مما سبق يكون موقف الملائكة مع الكافرين والمنافقين المترددين . ذلك أنه من بدء سكرات الموت فان الملائكة تتلقف اولئك الخاسرين بالتعنيف والأذى والحساب العسير على ما فرطوا فى جنب الله بعقائدهم الضالة الخبيثة ، ثم يعرضون عليهم مشاهد مما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة .

فذلك هو الحال مع كل من ضيع حياته لهوا ولعبا ، وذلك هو الحال مع الذين استغلوا اسم الله لجلب منافع رخيصة لهم وافتروا على الله الكذب ، وزعموا أنه قد أوحى اليهم وأنهم قد صاروا رسلا ، وفى الحقيقة لم يوح اليهم بشىء .

أولئك بحق اظلم الظالمين لأنهم ضلوا انفسهم وأضلوا الناس بغير علم .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم ، أخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام:٩٣—٩٤)

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » . (الأنفال : ٥٠ — ٥١)

« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ، بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين » . (النحل : ٢٨ — ٢٩)

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » . (النساء : ٩٧ : ٩٩)

❋

وعلى الرغم مما رأينا من الصلة الوثيقة بين الملائكة والانسان ، وخاصة فى المراحل المختلفة لما بعد الموت ، فانها لا تملك من أمره شيئا سواء فى الدنيا أو الآخرة . وكل ما يمكن قوله هو انهم جنود لله ، قد عهد اليهم بالتعامل مع الانسان حسب قواعد الهية عادلة ، وما على الجنود الا الطاعة والتنفيذ . وهذا الأمر هين على الملائكة الذين عرفوا مهمتهم جيدا لأنهم أحاطوا بأمر الانسان منذ نشأته حتى وفاته :

« وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » .
(الانفطار : ١٠ — ١٢)

والحق أن الأمر كله لله ، الذى تنزه عن أن يشاركه فيه أحد غيره ، ولو كان نبيا أو ملك :

« وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى » . (النجم : ٢٦)

« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » . (آل عمران : ٧٩ — ٨٠)

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليــه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعــذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليـا ولا نصيرا » . (النساء : ١٧٢ — ١٧٣)

وعلى كل حال فان الملائكة ترق لحال الانسان فى الدنيا ، وتخشى عليه نتيجة خطاياه ، وهى لذلك تدعو له بالتــوبة والمغفرة عسى الله أن يعفو عنــه :

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، ألا ان الله هو الغفور الرحيم » . (الشورى : ٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنــا وسعت كل شىء رحمــة وعلمــا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنــات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، انك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمتــه وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ — ٩)

❋

هــــذا — وبعد أن انتهت دراستنا لموضـــوع الملائكة فى القــرآن الكريم بهــذا الدعاء الملائكى الحنون — فان النصوص القرآنية الواردة فى أمر الملائكة تدعونا الى ضرورة الايمــان بهم ، وبعلاقتهم الوطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته .

وكيف لا وهم قرناء للانسان ، رقباء على أفعــاله ، وهم الوسيلة والسفرة الذين أنزلوا رسالة الله . ولقــد أوجب الله الايمان بهم واعتبر انكارهم كفرا وضلالا بعيدا ، وذلك فى قوله سبحانه :

« يا أيها الذين آمنــوا : آمنــوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضــل ضلالا بعيدا » . (النساء : ١٣٦)

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

الوحي

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهي المباشر .

ويعني الوحي تجرد الانسان ليكون في قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق أو القناة التي يسري فيها وحي الله من كلام ومشيئة (١) .

ونجمل ما سبق في موضوع الوحي فنجد اننا نستطيع القول بأن :

الوحي في صورته العامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض اليها من أوحي اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم في الغالب كتابات مقدسة .

والسوف نبحث فيما يلي حالات الوحي ووسائله .

* *

الوحي في العهد القديم

كان أول الوحي الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تموت — تكوين ٢ : ١٥ — ١٧ » .

ويلفت كتبة الاستغفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القاعدة الأصولية التي ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

---

(١) —Encyclopaedia Britannica, 1960

وتقول دائرة المعارف البريطانية : ((يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهي المباشر .

ويعني الوحي تجرد الانسان ليكون في قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق أو القناة التي يسري فيها وحي الله من كلام ومشيئة (١) .

ونجمل ما سبق في موضوع الوحي فنجد اننا نستطيع القول بأن :

الوحي في صورته العامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من أوحي اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم في الغالب كتابات مقدسة .

والسوف نبحث فيما يلي حالات الوحي ووسائله .

* *

الوحي في العهد القديم

كان اول الوحي الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

((وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تموت ــ تكوين ٢ : ١٥ ــ ١٧)) .

ويلفت كتبة الاستغفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القاعدة الأصولية التي ذكرناها سلفا :

((وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

---

(١) —Encyclopaedia Britannica, 1960

فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت .

فقال من اعلمك أنك عريان . هل اكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها .

فقال آدم المراة التى جعلتها معى هى اعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الاله للمراة ما هذا الذى فعلت ؟

فقالت المراة الحية غرتنى فأكلت ... — تكوين ٣ : ٨ — ١٣ » .

❋

وكان وحى الله الى خلقه عن طريق الرؤيا التى يراها النائم حتى اذا ما استيقظ من نومه شعر ان رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه ، واطمان بها قلبه وعلم ان ذلك وحى من الله .

فلقد كان هذا هو الحال مع إبراهيم أبى الأنبياء خليل الرحمن :

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلا . لاتخف يا ابرام . أنا ترس لك أجرك كثيرا جدا . فقال ابرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما .. — تكوين ١٥ : ١ — ٢ » .

وكانت الرؤيا هى سبيل الوحى لأغلب الأنبياء :

« فى تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان (النبى) قائلا . اذهب وقل لعبدى داود .. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك واثبت مملكته .. هو يبنى بيتا لاسمى ..

فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود — صموئيل الثانى ٧ : ٤ — ١٧ » .

« فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان لله انك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه .. فأعطنى الآن حكمة ومعرفة .. فقال الله لسليمان من أجل أن هذا كان فى قلبك .. قد أعطيتك حكمة ومعرفة وأعطيك غنى واموالا .. — أخبار الأيام الثانى ١ : ٧ — ١٢ » .

❋

لكن اكثر وسائل الوحى شيوعا هو ما كان من ظهور الملائكة فى صور بشرية ، تخاطب البشر بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله . فذلك كان الحال مع ابراهيم ولوط ويعقوب ودانيال الذى تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الأنبياء .

وقد يسمع العبد الصالح أصواتا تناديه فلا يعيها أول الأمر ، حتى اذا ما عرفه بخبرها أحد ممن يقرءون الكتاب من قبله ويعرفون طرق الوحى المختلفة لتعليم البشر ، فعندئذ تطمئن نفس ذلك العبد الصالح لهذا الذى يأتيه ويعلم أنه قد صار نبيا يوحى اليه .

لقد كان هذا هو الحال مع صموئيل الذى كان صبيا يخدم فى بيت الرب مع الكاهن عالى . فقد حدث بالليل « اذ كان عالى مضطجعا . . وعيناه ابتدأتا تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفىء سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله » أن سمع صموئيل صوتا يناديه باسمه فظنه الكاهن عالى ولذا ذهب اليه . فقال عالى « لم أدع . ارجع اضطجع . فذهب واضطجع » .

وتكرر ذلك مرتين أخريين وآنذاك فهم عالى أنه صوت الوحى ينادى صموئيل فأمره أن يقول حين يسمع النداء « تكلم لأن عبدك سامع » وعندئذ تلقى صموئيل وحيا يقول : « هوذا انا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن أذناه . فى ذلك اليوم أقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته . . من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم .

وكبر صموئيل وكان الرب معه . . وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا الرب — صموئيل الأول ٣ : ١ — ٢٠ » .

وجدير بالذكر أن اللعنة التى حلت بالكاهن عالى وبيته ، كانت بسبب فساد بنيه الذين اغتصبوا أموال بيت الرب ، وزادوا على ذلك أن اغتصبوا نساء اسرائيل وزنوا بهن فى بيت العبادة :

« وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع . فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب — صموئيل الأول ٢ : ٢٢ — ٢٣ » .

*

وقد ينظر العبد الصالح الى السماء فيرى ظللا من النور او النار ، تشد نفسه اليها ، وتستولى على مشاعرها ، وعندئذ يسمع وحى الله ، فذلك كان أول الوحى الى موسى :

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة .

فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى .

فقال هانذا . فقال لا تقترب الى ها هنا ..

ثم قال : أنا اله أبيك ابراهيم واله اسحق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر — خروج ٣ : ١ — ٦ » .

ولما كان الانسان بتركيبه البشرى وما قام فيه من ماديات ، لا يستطيع رؤية الله فى هذه الحياة الدنيا ، فانا نستطيع القول بأن ما رآه موسى كان شيئا من مجد الله .

اذ بعد أن تمرس موسى على وحى الله ورأى من الآيات ما رأى ، اشتاقت نفسه أن ينظر الى الله ، فجاءه القول الحق :

« لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الانسان لا يرانى ويعيش — خروج ٣٣ : ٢٠ » .

كذلك قد يسمع وحى الله آتيا من خلال السحاب وفى ظلل من الغمام :

« قال موسى لهارون قل لكل جماعة بنى اسرائيل اقتربوا الى أمام الرب لأنه قد سمع تذمركم . فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى اسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية . واذا مجد الرب قد ظهر فى السحاب .

فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى اسرائيل — خروج ١٦ : ٩ — ١٢ » .

❋

وقد يرى العبد الصالح مناظر عجيبة فى السماء تصاحبها عواصف وزوابع ، ثم يجيئه صوت الوحى يعلمه ، كما كان الأمر مع ايليا وحزقيال :

« كان كلام الرب اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال قد غرت غيرة للرب .. فقال اخرج وقف على الجبل .. واذا .. ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور .. وبعد الريح زلزلة .. وبعد الزلزلة نار ...

وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة واذا بصوت اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بحد السيف فبقيت انا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب اذهب راجعا فى طريقك الى دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على ارام . وامسح ياهو بن نمشى ملكا على اسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك — الملوك الأول ١٩ : ٩ — ١٦ » .

« كان فى سنة الثلاثين .. وانا بين المسبيين عند نهر جابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله ... صار كلام الرب الى حزقيال .. فى ارض الكلدانيين عند نهر خابور . وكانت عليه هناك يد الرب .

فنظر واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار . ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه انسان . ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة . وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول . وأيدى انسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله . مثل منظر نار ولها لمعان من حولها . كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله . هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأيته خررت على وجهى . وسمعت صوت متكلم ..

فقال الى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك . فدخل فى روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى .

وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك الى بنى اسرائيل الى أمة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على الى ذات هذا اليوم . والبنون

القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك اليهم .. واما انت يا ابن آدم فلا تخف منهم .. انت ساكن بين العقــارب .. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب لأنهم بيت متمرد ..

وأنت يا ابن آدم فاســـمع ما أنا مكلمك به لا تكن متمـردا كالبيت المتمرد .. — حزقيال ١ — ٢ : ١ — ٨ » .

*

ونجـد الكثـير من أســفار العهـد القـديم قد كتب على اساس انه كان وحيـا نطــق به عبد صــالح جاءته كلمـة الله بطـريقة ما .
فذلك ما نجده فى أسفار الأنبياء الكبار مثل أشعياء وارميا :

« رؤيا أشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم ..
اســمعى أيتها السماوات واصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم .

ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصـوا على . الثـور يعرف قانيـه والحمار معلف صاحبه أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم .

ويل للأمة الخاطئـة الشعب الثقيـل الاثم نسـل فاعلى الشر أولاد مفســدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيــل ارتدوا الى وراء . علام تضربون بعد . تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم .. أشعياء ١ : ١ — ٥ » .

« كلام ارميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض بنيامين ، الذين كانت كلمـة الرب اليـه ..

كانت كلمة الرب الى قائلا . مثلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلمـا خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب . فقلت آه يا سيد الرب انى لا اعرف ان أتكلم لأنى ولد . فقال الرب لى لا تقــل انى ولد لأنك الى كل من أرسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به . لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنقذك يقول الرب .

وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر قد وكلتك هـذا اليوم على الشعب والممالك لتقطع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس — ارميا ١ : ١ — ١٠ » .

كذلك كان الحال مع الأنبياء الاثنى عشر الأصاغر وهم : هوشــع ، ويوئيــل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ،

وصفينا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى ، اذ أن الأسفار التى تحمل أسماءهم قد جمعت باعتبارها وحى الله اليهم ، انفعلت به نفوسهم حتى فاضت به السنتهم :

« قول الرب الذى صار الى يوئيل بن فثوئيل .

اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض ..

اصحوا ايها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر .. — يوئيل ١ : ١ — ٥ » .

« أقوال عاموس الذى كان بين الرعاة من تقوع التى رآها عن اسرائيل .

فقال ان الرب يزمجر من صهيون ويعطى صوته من اورشليم فتنوح مراعى الرعاة وييبس رأس الكرمل .. — عاموس ١ : ١ — ٢ » .

« رؤيا عوبديا .

هكذا قال السيد الرب عن أدوم . سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسول بين الأمم . قوموا ولنقم عليها للحرب .. — عوبديا ١ : ١ » .

« صار قول الرب الى يونان بن امتاى قائلا . قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم أمامى .. — يونان١:١—٢ » .

« قول الرب الذى صار الى ميخا المورشتى ..

اسمعوا أيتها الشعوب . جميعكم ، اصغى أيتها الأرض وملؤها وليكن السيد الرب شاهدا عليكم من هيكل قدسه .. — ميخا ١ : ١ — ٢ » .

« وحى على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الالقوشى .

الرب اله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه .. — ناحوم ١ : ١ — ٢ » .

« كلمة الرب التى صارت الى صفنيا بن كوشى ..

نزعا أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب . أنزع الانسان والحيوان . أنزع طيور السماء وسمك البحر والمعاثر مع الأشرار واقطع الانسان عن وجه الأرض يقول الرب — صفينا ١ : ١ — ٣ » .

« فى السنة الثانية لداريوس الملك .. كانت كلمة الرب عن يد جحى النبى الى زربابل هكذا قال رب الجنود قائلا . هذا الشعب قال ان الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب — جحى ١ : ١ — ٢ » .

« فى الشهر الثامن فى السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا بن برخيا بن عدو النبى قائلا . قد غضب الرب غضبا على آبائكم .. — ١ : ١ — ٢ » .

« وحى كلمة الرب لاسرائيل عن يد ملاخى ..

أحببتكم قال الرب . وقلتم بم أحببتنا ..

الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده . فان كنت أنا أبا فأين كرامتى وان كنت سيدا فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمى وتقولون بم احتقرنا اسمك .. — ملاخى ١ : ١ — ٦ » .

*

ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحا متميزة اذا ما حلت بالعبد الصالح انطقته بوحى الله ، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشرية وتعى ما يقول .

ولذلك قال موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذ جعل الرب روحه عليهم .. — عدد ١١ : ٢٩ » .

وكان كلام صموئيل النبى الى شاول وهو يعلمه احدى طرق الوحى :

« عند مجيئك الى هناك الى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة .. وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول الى رجل آخر ..

وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلبا آخر ..

ولما جاءوا الى هناك الى جبعة اذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم — صموئيل الأول ١٠ : ٥ — ١٠ » .

« وهذه هى كلمات داود الأخيرة : وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح اله يعقوب ومرنم اسرائيل الحلو . روح

الرب تكلم بى وكلمته على لسانى قال اله اسرائيل الى .. اذا اتسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس — صموئيل الثانى ٢٣ : ١ — ٤ » .

ويحكى حزقيال بدء الوحى اليه فيقول « سمعت المتكلم معى . وقال لى يا ابن آدم انا مرسلك الى بنى اسرائيل الى أمة متمردة — حزقيال ٢ : ٢ — ٣ .

* *

وبعد — ان خلاصة القول فى موضوع الوحى كما تبينه دراسة أسفار العهد القديم تعلمنا أن « رجال الله » الذين عاشوا على الأرض قبل أن يوجد اسرائيل وذريته ، وكذلك الذين ظهروا فى الشعب الاسرائيلى من انبياء ومرسلين ، قد تلقوا وحى الله بطرق مختلفة ، يمكن اعتبارها مرجعا مقارنا لدراسة حالات الوحى ، كما يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — الوحى بالكلام شبه المباشر بين الله والانسان ، أو بتعبير أدق بانه كلام « من وراء حجاب » وقد تعرض لذلك آدم وموسى .

٢ — الوحى بالرؤيا المنامية كما حدث لابراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم .

٣ — ظهور الملائكة فى صور بشرية تعلم الناس بلغاتهم وحى الله ، وتلك احدى الطرق الشائعة التى تعلم بها ابراهيم ولوط ويعقوب وايليا ودانيال الذى علمه جبريل .

٤ — ظهور الملائكة فى طبيعتها النورانية تصاحبها هالات من النور أو النار وظلل من الغمام ، ومن وراء ذلك يأتى صوت الوحى كما حدث لموسى وايليا وحزقيال .

٥ — وقد تسمع اصوات الملائكة من بعد وفى خفاء وهى تلقى بالوحى الى العبد الصالح ، كما كان الحال مع صموئيل وغيره .

٦ — وقد يحل روح من الله على العبد الصالح وعندئذ قد تتغير حالته الطبيعية ويلقى اليه بالوحى فيعيه ويتكلم به ، كما حدث لشاول وداود وايليا وحزقيال .

٧ ـ كذلك قد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلاما يشتهر بين النـاس بانه وحى الله . ونجـد ذلك ما كان من امر الأنبياء : اشعياء ، وارميا ، ويوئيل ، وعاموس ، وبقية الأنبياء الاثنى عشر .

ومن الواضح أن العبد الصالح يمكن ان ياتيه الوحى بطـرق مختلفة .

هـذا ـ ومن البديهيات المسلم بها هو أن الوحى أولا وأخيرا يرتبط بمن اوحى اليه ، لذلك كان ايمـان الناس بصدق الوحى يجب أن يسبقه ايمانهم بصدق من أوحى اليه ، وثقتهم فى امانته ، وما اشتهر به من طهر وفضل . واذا كان ذلك الذى أوحى اليه قد تعفف عن الكذب على الناس ، فمن باب أولى انه لابد وأن يتحـرز من الكذب على الله . ان هـذا أمر لا يقبـل الجـدل .

ومن رحمـة الله بخلقه ان اصطفى من النـاس انبياءه ورسله ، ممن عطرت سيرتهم ، وطابت ذكراهم ، وكانوا فوق مستوى الشبهات .

* * *

الوحي في العهد الجديد

تقرر اسفار العهد الجديد ان طرق الوحي الى انبياء الله كثيرة ومتنوعة ، وانها جميعا تهدف الى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين جعلوا أئمة للبشر :

« الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في (المسيح) — عبرانيين ١ : ١ — ٢ » .

وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحي التي اشرنا اليها في الفصل السابق . وبجانب ذلك فانا نجد في اسفار العهد الجديد تفصيلا لحالات الوحي ووسائله ، ومنها :

ظهور الملائكة للبشر في صورة جسمية ، تخاطبهم بلغاتهم ، وتبلغهم وحي الله كما فعل جبريل مع زكريا حين بشره بابنه يحيى :

« بينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله .. ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ..

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأني شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وابشرك بهذا — لوقا ١ : ٨ — ١٩ » .

ويكون الوحي برؤيا يراها العبد الصالح في نومه ويوقن انها تعليم من السماء فيتصرف على هذا الأساس . وقد حدث ذلك ليوسف النجار خطيب مريم ، الذي لما عرف سر حملها لم يستجب لوساوسه في أمرها ، ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح ابنها البكر :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا .

ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس .

فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع .. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ..
فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم
يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع — متى ١:١٨—٢٥ » .

ولقد تعرض المجوس الذين زاروا مريم وابنها ، الى وحى فى الرؤيا المنامية أبعدهم عن طريق هيرودس الملك الذى كان يطلب قتل الصبى المبارك :

« أتوا الى البيت ورأوا الصبى مع أمه مريم . فخروا وسجدوا له ..
ثم اذ أوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى الى كورتهم — متى ٢ : ١١ — ١٢ » .

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية الى يوسف النجار :

« وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصر .

فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل .. ولما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب الى هناك .

واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل . وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة — متى ٢ : ١٣ — ٢٣ » .

*

ويكون الوحى بحلول الروح على العبد الصالح ، فينطق بالحق ويقول الصدق . ولقد أعلن المسيح أن نبوءته قد تحققت بروح الله الذى حل عليه ، والذى أيده الله به :

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ..

فدفع اليه سفر اشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه .. **روح الرب على** لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب .. ثم طوى السفر وسلمه للخادم ..

وحل الروح على تلاميذ المسيح ومن معهم فأصابتهم حالة الوحى ، وعندئذ سخر اليهود منهم وظنوهم سكارى ومخبولين — فقام بطرس يوضح الموقف ويقرران حلول روح الله على الجموع من الناس انما كان تحقيقا لنبوءة وردت فى أسفار العهد القديم عما سيكون فى آخر الزمان — وهو الزمان الذى عاش فيه بطرس ومن معه منذ نحو عشرين قرنا مضت حتى الآن ويقول :

« امتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .. فبهت الجميع وتعجبوا .. وكان آخرون يستهزءون .. فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال الهم أيها الرجال اليهود .. ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا الى كلامى . لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما انتم تظنون . لأن الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبى . يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة انى أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم احلاما . وعلى عبيدى أيضا وامائي أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون — أعمال الرسل ٢ : ٤ — ١٨ » .

❋

والخلاصة ان حالات الوحي ووسائله فى المسيحية لا تخرج عما رايناه فى اليهودية .

❋ ❋

هذا — واذا كانت أغلب أسفار العهد القديم قد قرر كاتبوها انها وحى سماوى نطقت به السنة الأنبياء — وقد راينا ذلك سلفا — فان الأمر يختلف تماما بالنسبة لأسفار العهد الجديد . ذلك ان الأغلبية العظمى من هذه الأسفار تقرر صراحة او ضمنا ، انها مجهودات خاصة ، وكتابات شخصية ، انشاها كاتبوها لبيان قصة المسيح ، ورسالته ونشاط تلاميذه — كما عرفها اولئك الكتاب .

ويتبين ذلك من دراسة هذه الأسفار على النحو التالى :

(ا) الأناجيل :

١ — انجيل لوقا :

يبدأ لوقا انجيله ببيان ما دفعه الى تأليفه فيقول :

« اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت انا

ايضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به — لوقا ١:١—٤ ».

ويتضح من ذلك عدة أمور :

— أن كثيرين قد اخذوا فى تاليف قصص عن المسيح وبشارته ، وهم قد كتبوا أناجيل من عندهم ومن المعلوم أن القرون الأولى من الميلاد قد انتشرت فيها أناجيل كثيرة .

— وأن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية الى عزيزه ثاوفلس الذى قيل أنه كان ثريا من الاسكندرية .

— وأن الوقا كتب رسالته الى ثاوفلس بدافع من نفسه : (رأيت أنا ايضا) وأنه عمل فى رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق) .

— ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سوف يكون سفرا مقدسا يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

وغنى عن البيان أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه وتربوا بين يديه . ومن المعلوم كذلك أن كتابات الوحى لا بد وأن ينمحى فيها كل أثر للجهود الشخصية للعبد الصالح ، الذى لا يكون عمله سوى التوصيل بأمانة لكلمة السماء .

*

٢ — انجيل متى :

يقرر الكاتب أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم ..

اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس — متى ١ : ١ ، ٨ » .

وليس فى هذا الكلام أو فى غيره ما ينص على أنه وحى من الله .

❋

٣ ـ انجيـل مرقس :

وما قيل عن انجيل متى يقال عن انجيـل مرقس بالنسبة لموضـوع الوحى ، الا أن كاتب انجيل مرقس قرر أن يسمى كتابه انجيلا فقال :

« بدء انجيـل يسوع المسيح ـ مرقس ١ : ١ » .

❋

٤ ـ انجيـل يوحنا :

يختلف هذا الانجيل عن الثلاثة الأول بنزعته الفلسفية ، لكنه يقـرر أمرا هاما وهو انه قد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وروى قصته لتصل به الى النتيجـة التى أرادها ، وهى الاعتقاد بأن المسـيح هو ابن الله . فهو يقـول :

« وآيات اخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هـذا الكتاب . وأما هـذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ـ يوحنا ٢٠ : ٣٠ ـ ٣١ » .

ويختم الكاتب كتابه فيقول :

« هـذا هو التلميـذ الذى يشهد بهـذا وكتب هـذا . ونعلم أن شهادته حق .

وأشياء اخر كثيرة صنعها يسـوع ان كتبت واحـدة فلست اظن أن العـالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ـ يوحنا ٢١ : ٢٤ ـ ٢٥ » .

ومن البديهيات أن وحى الله الى خلقه لا يقوم على ظنون وتخمينات ، انمـا يقـرر الحق المجرد الخالى من القصور أو المبالغات .

❋

(ب) اعمـال الرسل :

لقد أخذ الجزء الأول من رسالة لوقا الى عزيزه ثاوفلس وعرف باسم

« انجيل لوقا » دأما الجـزء الباقى من تلك الرسالة فقد عرف باسـم « اعمال الرسل » ـ اذ أنه يحكى حال تلاميذ المسيح ومن انضم اليهم بعد رفعه الى السماء . كذلك فانه يبين المجهودات التى أسهم بها أولئك الدعاة فى نشر المسيحية فى أيامها الأولى .

وفى هـذا يقول لوقا كاتب الرسالة ومنشؤها :

« الكلام الأول انشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتـدأ يسـوع يفعله ويعلم به الى اليوم الذى ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسـل الذين اختارهم ـ أعمال الرسل ١ : ١ ـ ٢ » .

❋

(ج) رسائل بولس :

ما كان بولس من تلاميـذ المسيح ورسـله ، وما راى المسيح ولو مرة واحـدة فى حياته ، لكنـه اشـتهر فى زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين . ولقد اتهم كثـيرا بالسطو على الكنيسة ثم فجاة اعلن بولس نفسه رسولا للمسيح بعد قصـة رواها عن نفسه وشـك فيها التلاميذ ، ولهذا رفضوا دخوله فى مجتمعهم ، لولا شـفاعة برنابا الرجل الصـالح الذى كانوا يثقون فيه .

وفى هذا تقول رسالة الأعمال :

« اما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة . وطلب منه رسائل الى دمشـق الى الجماعات حتى اذا وجـد اناسا من الطـريق رجالا أو نساء يسـوقهم موثقـين الى أورشليم وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتـة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضـطهدنى فقال من انت يا سـيد ـ **فقـال الرب انا يسـوع** الذى انت تضطهده .. فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن افعـل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ..

وكان شاول مع التلاميـذ الذين فى دمشـق أياما . وللوقت جعـل يكرز فى المجامع بالمسيح ان هـذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا اليس هـذا هو الذي اهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء الى هنـا لهـذا ليسوقهم موثقـين الى رؤساء الكهنة ..

ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ . فاخذه برنابا واحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وانه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع ـ أعمال الرسل ٩ : ١ ـ ٢٨ » .

ويقرر سفر اعمال الرسل أن تلك الرؤيا النورانية لم يكن لها من شهود سوى بولس ، حتى أن الرجال المسافرين معه لم يروا شيئا مما تحدث عنه :

« واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا ـ اعمال الرسل ٩ : ٧ » .

لكن هنا وقفة لابد منها ، ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا ـ التى اقتحم بها بولس المسيحية ليجعل نفسه مبشرها الأكبر فيما بعد ـ فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة . فهو يقول هذه المرة على لسان بولس :

« ابرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا . . قال لى أنا يسوع الناصرى . . **والذين كانوا معى نظروا النور . . لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** ـ اعمال الرسل ٢٢ : ٦ ـ ٩ » .

فعلى حسب الرواية الأولى نجد ان المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور ، واما حسب الرواية الثانية فانهم نظروا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت !

*

وكذلك ما راى بولس احدا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب اخا المسيح وذلك بعد مدة تزيد عن الثلاث سنوات كان قد بدا فيها الدعوة الى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ او تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله . وفى هذا يقول بولس عن نفسه :

« لما سر الله الذى افرزنى من بطن امى ودعانى بنعمته . أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضا الى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما . ولكننى لم أر غيره من الرسل الا يعقوب أخا الرب .

والذى اكتب به اليكم هو ذا قدام الله انى لست اكذب فيه .

وبعد ذلك جئت الى اقاليم ســورية وكيليكيــة ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح ــ غلاطية ١:١٥ــ٢٢» .

ولقد أستمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد عن اربعة عشر عاما حتى حــدث ما اضـطره أن يعود الى أورشليم ليعرض على كبــار التلاميذ « المعتبرين » التعاليم التى بشر بها وليتأكد منهم أن ما أشاعه فى **الدعوة كان خاليــا من الاباطيل** . ويروى بولس انهم وافقــوه على التبشير بين الأمم غير اليهودية :

« ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا الى أورشليم مع برنابا آخــذا معى تيطس أيضا . وانمــا صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى أكــرز به بين الأمم ولكن بالانفــراد على المعتبرين لئــلا أكون اسعى أو قد سعيت باطــــلا .. فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء بل بالعكس اذ رأوا انى أؤتمنت على انجيــل الغرلة كما بطرس على انجيــل الختـــان ..

فاذا علم بالنعمــة المعطــاة لى يعقوب وصــفا ويوحنا المعتبرين انهم أعمــدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة النكون نحن للأمم وأما هم فللختان . غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله ــ غلاطية٢:١ــ١٠» .

❋

ولقد حرص بولس دائما على أن يضع نفسه بين افضل رسل المسيح، وكان يرى أنه يستطيع التصدر فى الدعوة المسيحية وحيدا ، دون ما حاجة الى معاونة او توجيه . فهو يقول فى رسائله :

« الست أنا رسولا . الست أنا حرا . اما رأيت يسوع المسيح ربنا ــ (١) كورنثوس ٩ : ١ » .

« فليحســـبنا الانسان كخـــدام المســـيح ووكلاء سرائر الله ــ (١) كورنثوس : ٤ : ١ » .

« ليتكم تحتملون غباوتى قليـــلا . بل انتم محتملى .. انى أحسب انى لم انقص شيئا عن فائقى الرسل . وان كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم ــ (٢) كورنثوس ١١ : ١ ــ ٦ » .

« استحسنا من الله أن نؤتمن على الانجيل — (١) تسالونيكى ٢:٤ » .

« انى أقول لكم أيها الأمم بما أنى رسول للأمم أمجد خدمتى — رومنيه ١١ : ١٣ » .

« قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعى حفظت الايمان . وأخيراً قد وضع لى اكليل البر — (٢) تيموثاوس ٤ : ٧ — ٨ » .

وقرر بولس فى رسائله ان تعاليمه فى المسيحية هى شىء يختص به ، وينفرد باعلانه :

« واعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان . لأنى لم أقبله من عند انسان ولا علمته . بل باعلان يسوع المسيح — غلاطيه ١ : ١١ — ١٢ » .

ولقد مر بنا منذ قليل قوله : « لم أستشر لحما ودما .. ولا صعدت الى الرسل الذين قبلى » .

*

وسار بولس فى الدعوة الى المسيحية وفق مبدا اختطه لنفسه ، وهو ان يكسب اكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم العقيدة الجديدة ، وايمانهم بها ايمانا خاليا من شوائب عقائدهم السابقة .
ولقد نتج عن ذلك أن دخل كثيرون فى المسيحية على يد بولس بأفكارهم وعقائدهم القديمة ، واغلبها عقائد وثنية . ذلك أن ما كان يطمع فيه بولس هو أن ينشىء « كمنولث مسيحى » يقوم على أفراد وطوائف شتى يكفى الا يربطها سوى اسم المسيح والصليب . ويرى الباحثون أن فكرة الكومنولث المسيحى قد تأثر بها بولس من الأحوال السياسية والأفكار الفلسفية التى كانت سائدة آنذاك فى العالم الرومانى الوثنى . وفى هذا يقول تشالز دود :

« لقد أوضحنا سلفا أن فكرة الكمنولث العالمى كانت شائعة فى العالم الوثنى وكانت روما فى تأثرها بالمثل العالية للرواقيين — الذين قدموا فى أيام بولس رئيسا لوزراء الامبراطورية ، وفى القرن التالى له اعتلى أحدهم عرش الامبراطورية — فحاول تأسيس ذلك الكمنولث — ولقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الأفكار (١) » .

C. H. Dodd : The Meaning of paul For Today, (1)
F. B., London, 1964, P. 49

ومن اجل ذلك لم يتحـرز بولس عن استخدام كل الوسائل لكسب الاتبـاع :

« اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس . لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء — صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهذا أنا افعله لأجل الانجيـل لأكون شريكا فى — (١) كورنثوس ٩ : ١٩ — ٢٣ » .

ولم يكن هنـاك حرج من الكذب فى الدعوة طالمـا قد عرف النـاس اسم الله :

« أن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلمـاذا أدان أنا بعـد كخاطىء — روميه ٣ : ٧ » .

❋

اما برنابا الذى قدم بولس للتـلاميذ فقد كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القـدس ، وكان رسـولا مفوضا من التـلاميذ الى مختلف المدن وكنائسها ليبشر بتعاليم المسيح . وكان يدعو بولس لمرافقتـه فى رحـلاته التبشيرية . وقد استمرت جهود برنابا مخلصة للدعوة المسيحية طيـلة حيـاته :

« ويوسف الذى دعى من الرسـل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ هو لاوى قبرسى الجنس . اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عنـد أرجل الرسل — أعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧ » .

« سمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز الى انطاكية الذى لمـا أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميـع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب .

لانه كان رجـلا صالحـا وممتلئا من الروح القدس والايمـان فانضم الى الرب جمع غفير .

ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجده جاء به الى انطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا ـ أعمال الرسل ١١ : ٢٢ ـ ٢٦ » .

لكن الوفاق بين برنابا وبولس لم يلبث ان انفض ، وحدثت بينهما مشاجرة لعدة اسباب منها تعصب بولس واحتكاره الدعوة المسيحية ، فذهب كل منهما لحال سبيله :

« ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر ـ اعمال الرسل ١٥ : ٣٦ ـ ٣٩ » .

ولم تكن آراء بولس ومعتقداته مخالفة لبرنابا فقط ، بل انها كانت موضع مؤاخذة من تلاميذ المسيح ورسله . فقد شاع عن بولس انه يحقر الناموس ويدعو الى ابطال العمل به . وقد كان هذا سببا فى تذمر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، وهم الذين تعلموا أن المسيح قد عظم الناموس ودعا دائما الى التمسك به :

« ولما وصلنا الى أورشليم قبلنا الأخوة بفرح . وفى الغد دخل بولس معنا الى يعقوب وحضر جميع المشايخ .. وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا هم جميعا غيورون للناموس . **وقد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى** قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد . فاذا ماذا يكون لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لانهم سيسمعون انك قد جئت فافعل هذا الذى نقول لك . عندنا أربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شىء مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضا حافظا للناموس .

حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم ـ أعمال الرسل ٢١ : ١٧ ـ ٢٦ » .

ومهما كان من تظاهر بولس بمجاملة الناموس ، فان هذا لا يغير

من حقيقة الأمر شيئا وهو ان بولس عمل دائما على ابطال الناموس وأحكامه، مخالفا بذلك تعاليم المسيح الذى قال :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

ان رسائل بولس لهى خير شاهد على موقفه من الناموس وتعاليمه ، فهو يقول :

« أيها الغلاطيون الأغبياء .. اريد ان أتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الايمان . أهكذا أنتم أغبياء .

جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به .

ولكن ان ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها ..

قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب ـ غلاطية ٣ : ١ ـ ٢٥ » .

« أنا بولس أقول لكم انه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا .

قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة ـ غلاطية ٥ : ٢ ـ ٤ » .

« انه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها اذ الناموس لم يكمل شيئا ـ عبرانيين ٧ : ١٨ ـ ١٩ » .

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال ـ عبرانيين٨ : ١٣ » .

وكذلك تصارع بولس مع بطرس ـ شيخ التلاميذ ـ واتهمه بالرياء ، ومخالفة انجيل المسيح :

« لما أتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما . لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان . وراى معه باقى اليهود أيضا

حتى أن برنابا أيضا انقاد الى ريائهم . ولكن لما رأيت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وانت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا - غلاطية ٢ : ١١ - ١٤ » .

ولو كان بولس من تلاميذ المسيح ، او لو كان هناك انجيل مكتوب فى أيام بولس يقرا منه ، لما كان هذا موقفه من بطرس الذى قال له المسيح :

« أنا أقول لك أيضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات - متى ١٦ : ١٨ - ١٩ » .

لكن الذى حدث هو أن ما ربطه بطرس على الأرض حله بولس على الأرض أيضا .

ذلك بعض ما كان من أمر بولس وتعاليمه التى أوجدها فى المسيحية وكان من وراء ذلك ما كان .

*

هذا - ولننظر الآن فى رسائل بولس لنرى كيف كتبت ، وحقيقة امرها من ناحية الوحى .

١ - لقد كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى شكلها العام ، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتأكيد على انه رسول للمسيح ، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات ، وأخيرا يختمها بالحديث عن الأشواق والقبلات الى النساء والرجال على السواء :

« بولس عبد اليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله .. الى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعويين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١ : ١ - ٧ » .

« أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا .

سلموا على أبينتوس حبيبى .. سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا . سلموا على اندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى اللذين همـا مشهوران بين الرسل ..

سلموا على امبلياس حبيبى فى الرب ..

سلموا على هيروديون نسيبى ..

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب ..

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى أمه أمى ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ..

يسلم عليكم تيموثاوس العـامل معى ولوكيـوس وياسـون وسوسيباترس انسبائى — رومية ١٦ : ١ — ٢١ » .

« بولس المدعو رسـولا ليسوع المسيح بمشيئة الله .. نعمـة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح — (١) كورنثوس ١ : ١ — ٣ » .

« يسلم عليكم الاخوة أجمعون .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة — (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ » .

« اخيرا أيها الاخـوة افرحوا .. سلموا بعضكم على بعض بقبـلة مقـدسة — (٢) كورنثوس ١٣ : ١١ — ١٢ » .

سلموا على الأخوة جميعا بقبلة مقدسة — (١) تسالونيكى ٥ : ٢٦ » .

« بولس رسول يسـوع المسيح بحسب أمر الله .. الى تيموثاوس الابن الصريح فى الايمان نعمـة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنـا — (١) تيموثاوس ١ : ١ — ٢ » .

سلم على فرسكا واكيلا وبيت اتيسيفورس .. يسلم عليك افبولس — (٢) تيموثاوس ٤ ١٩ ، ٢١ » .

« بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ الى فليمون المحبـوب والعامل معنا والى ابفية المحبوبة — فليمون ١ : ١ — ٢ » .

٢ — وكانت كتـابات بولس رسائل شـخصية بما احتوته من مطالب وشكاوى وامور شخصية بحتة :

« بادر أن تجيء سريعا لأن ديماس قد تركني .. لوقا وحده معي . خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لي للخدمة .

الدواء الذي تركته في تراوس عند كاربس أحضره متى جئت ..

اسكندر النحاس اظهر لي شرورا كثيرة .. فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم اقوالنا جدا . بادر أن تجيء قبل الشتاء — (٢) تيماثاوس ٤ : ٩ — ٢١ » .

« حينما أرسل اليك ارتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي الى نيكوبوليس لأني عزمت أن أشتي هناك — تيطس ٣ : ١٢ » .

« أنا واثق باطاعتك كتبت اليك عالما أنك تفعل أيضا أكثر مما أقول . ومع هذا أعدد لي أيضا منزلا لأني أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم — فليمون ١ : ٢١ — ٢٢ » .

٣ — كذلك كانت كتابات بولس رسائل شخصية في مضمونها اذ اعترف فيها صراحة بأنه كتبها من نفسه ، وأبرز فيها آراءه واجتهاداته الشخصية التي قد تتفق وتعاليم المسيح أو لا تتفق :

« أما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل ان لا يمس امراة .. وأما الباقون **فاقول لهم أنا لا الرب** ان كان أخ له امراة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى **فليس عندي امر من الرب فيهن ولكنني اعطي رايا ..**

المراة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط والكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا **بحسب رأيي .. وأظن أني أنا أيضا عندي روح الله** — (١) كورنثوس ٧ : ١ — ٤٠ » .

« **لست اقول على سبيل الأمر بل باجتهاد** آخرين مختبرا اخلاص محبتكم .. **اعطي رايا في هذا** أيضا لأن هذا ينفعكم — (٢) كورنثوس ٨ : ٨ ، ١٠ » .

« من جهة الخدمة للقديسين هو فضول مني أن اكتب اليكم — (٢) كورنثوس ٩ : ١ » .

« هذا أكتبه اليك راجيا أن آتي اليك عن قريب — (١) تيموثاوس ٣ : ١٤ » .

* *

(د) رسائل التلاميذ :

لا تختلف كثيرا رسائل التلاميذ عن رسائل بولس الا فى وضوح هدف كتابة تلك الرسائل وبيان تعاليمهم التى كانت مواعظ شخصية .

ففى رسالة بطرس الأولى نجدها تبدأ :

« بطـــرس رســـول يسوع المسيح الى المتغربين من شـــتات بنتس وغلاطية .. بمقتضى الآب .. لتكثر لكم النعمة والسلام .

وتنتهى الرسالة :

(بيـــد سلوانس الأخ الأمين كما أظن كتبت اليــكم بكلمات قليـــلة واعظا ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة » .

*

كذلك كانت رسالة يوحنا الثالثة تمثل رسالة شخصية الى :

« غايس الحبيب الذى أنا أحبــه بالحق .

أيها الحبيب فى كل شىء أروم أن تكون ناجحا وصحيحا كما أن نفسك ناجحـــة ..

أيهـــا الحبيب أن تفعـــل بالأمانة كل ما تصنعه الى الأخـــوة والى الغـــرباء ..

أيها الحبيب لا تتمثل بالشر ..

كان لى كثير لأحبه لكننى لست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم .. ولكننى أرجو أن أراك عن قريب ..

فنتكلم فما لفم . سلام لك يسلم عليك الأحباء .

سلم على الأحبـــاء بأسمائهم » .

*

والآن نستطيع القـــول بان حالات الوحى ووسائله فى أسفار العهـــد الجديد لم تخرج عن نطاق ما سبق بيانه فى أسفار العهد القديم .

كذلك فان أسفار العهد الجـــديد قد كتب اغلبها بالجهود الشخصية لاصحابها لتحكى ما كان من أمر المسيح ورسالته فى صدرها الأول .

* * *

الوحى فى القرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير من اخبار الوحى ووسائله مع الانبيـاء السابقين فنعلم الآتى :

قد يكون الوحى بالرؤيا المنامية ، يراها العبد الصالح ، ويوقن انها وحى الله ، وعندئذ يتبع ما اوحى اليه ويسير على هديه .

ولقد كان ذلك هو الحـال مع ابراهيم حين ابتـلاه الله بذبح ولده الوحيـد الذى لم يرزق به الا فى شيخوخته . وقام ابراهيم بعزم المؤمنين يتفـذ الأمر رغـم ما كان يعانيـه من صراعات وآلام . ولكن رحمـة الله تداركت الوالد الصادق والوليـد الصـابر ، وصرفت عنهما ذلك الكرب العظيم :

« فبشرناه بغـلام حليم . فلمـا بلغ معه السعي قال يا بنى انى أرى فى المنـام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى أن شـاء الله من الصابرين . فلمـا أسلما وتـله للجبنين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هـذا لهو البـلاء المبين » . (الصافات : ١٠١ ـ ١٠٦)

❋

ويكون الوحى بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحى الله وتعليمه الى المصطفين من خلقه وتخاطبهم بلغاتهم . وقد تعـرض لذلك ابراهيم حين جاءته البشرى بولده اسحق من زوجه العاقر سارة .

وحدث ذلك مع لوط حين جاءه النذير باهلاك قومه ـ وقد رأينـا ذلك سلفا .

❋

كذلك يكون الوحى بسـماع أصوات الملائكة وهى تلقى وحى الله الى العبيد الصالحين مثل ما كان من أمر زكريا ، ومريم ، حين جاءتهما البشرى بوليد منتظر :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك

سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ..

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .
(آل عمران : ٣٨ - ٣٩ ؛ ٤٥)

*

وتلقى موسى وحى الله فى صور شتى . فقد كان اول الوحى اليه نداء إلهى ، أحس موسى أنه صادر من الشجرة المتلألئة المباركة ، وأيقن أنه كلام الله :

« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين » .
(القصص : ٢٩ - ٣٠)

*

ويبين القرآن الكريم فى وضوح طرق تلقى اعظم الوحى - الا وهو كلام الله - فيقول :

« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، او من وراء حجاب ، او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم » .
(الشورى : ٥١)

والمراد من الوحى فى قوله تعالى : « أن يكلمه الله الا وحيا » هو الالهام حيث تفرض على العبد الصالح حالة لا دخل له فى تحديد كل ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، ولكنها حالة « فيض الهى » يتعرض لها حتى اذا ما فارقته كان قد وعى تماما ما ألهم به .

ومن ذلك ما حدث لأم موسى فيما حكاه الله بقوله :

« وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »
(القصص : ٧)

أما الحالة الثانية فهى الكلام « من وراء حجاب » كما حدث لموسى الذى عرف أنه كليم الله : « وكلم الله موسى تكليما » .
(النساء : ١٦٤)

ولا يمكن التصور ولو للحظة واحدة أن الحديث عن كلام الله هنا يمكن أن يعطى مفهوما الحالة يتم فيها « عمل ميكانيكى » ينتج عنه احداث صوت أو نحوه — ذلك أن الله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »
(الشورى : ١١)

وقد شرح الغزالى ذلك بقوله : « وسماع النبى من الله يكون بغير واسطة .. ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق الله علما ضروريا يدرك به الرسول ثلاثة أمور : أولها — أن المتكلم هو الله تعالى ، وثانيها : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، وثالثها : مراد الله من كلامه عز شأنه والقدرة الالهية الأزلية لا تقصر عن ذلك » (١) .

أما الحالة الثالثة فانها تكون عن طريق الملك الذى يأتى العبد الصالح رسولا من عند الله فينقل اليه كلام الله محدد المعالم ميسر البيان. وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

« أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

والقرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل على رسوله ، وأمر بتبليغه الى الناس جميعا :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت » .
(الأعراف : ١٥٨)

ولقد أمر الرسول أن يبين للناس كل ما يتعلق بالقرآن حتى يكون دخولهم فى دين الله عن بصيرة واقتناع يقوم على المنطق والبرهان :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » . (النحل : ٤٤)

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول .. ذلك خير وأحسن تأويلا » . (النساء : ٥٩)

وكان أول ما نزل من القرآن دعوة صريحة الى التعليم ، وتكريما للعلم ، وتقريرا لحقيقة علمية ترتبط بخلق الانسان الذى يجب أن يعرف مم كانت نشأته :

---

(١) الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى — ص ٨٣ ، ٨٤ .

« اقــرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقــرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
(العــلق : ١ — ٥)

ولقد عرفت هذه السور باسم : سورة « العلق » .

وعن طريق هذا التعليم الالهى عرف أهل الصحراء منذ نحو اربعة عشر قرنا مضت — وهم على حالهم ذاك من البـداوة والتخلف ، ودون معرفة بطـرق العلم الحـديث وأدواته من ميكروسكوب وغيره — ان بذرة الانسان الأولى انمــا هى كائن حى يســعى ، وان كان لا يرى بالعــين المجــردة .

وباشراق هذا الروح المضىء على المسلمين الأوائل ، تفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه ، وانطلقوا فى طريق العلم يبحثون عن الحق والخير ، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبى الأمى الذى جاءه العلم وحيــا من عند الله .

وكانوا لذالك يسألونه ، وينتظر الرســول خبر الســماء ، حتى اذا جاءه علمــه ما يقول :

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم »
(البقرة : ٢١٥)

« ويسألونك عن المحيض ، قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . (البقرة : ٢٢٢)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قــل انمــا علمها عنــد ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى الســـــموات والأرض ، لا تأتيــكم الا بغتــة » . (الأعراف : ١٨٧)

« ويسألونك عن الروح ، قــل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . (الاسراء : ٨٥)

ولقد حدث ابن ابى مليكة قال ان : عائشة زوج النبى كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه » .

وما كان أمر الوحى ليمضى دون ســـؤال ولو من بعض المســلمين الأوائل الذين فاتهم نصيب من مشاهدة احـدى حالاته ، وهؤلاء أجابهم الرسول وعلمهم ما كان من أمره .

كذلك تكلم الصـحابة فى أمر الوحى وشـهدوا بما رأته أعينهم من حالات ، وما ســمعته آذانهم من أصــوات تصاحب نزول الوحى كأنها دوى النحل أو صلصلة الجرس .

فلقد سأل الحــارث بن هشام الرســول فقال : يا رســول الله : كيف يأتيــك الوحى ؟ . فقال الرســول : احيــانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال . واحيـــانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول » .

وقالت عائشة : « اول ما بدىء به رسول الله من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه .. حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما انا بقارىء . قال (الرسول) فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى . فقال اقــرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهــد ثم أرسلنى . فقال اقــرأ قلت ما أنا بقــارىء . فأخذنى فغطنى الثالثــة ثم أرسلنى . .

فقال : اقــرأ باسم ربك الذى خلق ــ خلق الانسان من علق ــ اقـــرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجــة بنت خويلد فقال : زملونى .. زملونى .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر :

لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله . ما يخــزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١) .

ان التجارب الانسانية تبين ان الأحــــداث الهــامة فى حياة الأفراد والأمم تلازمها دائمــا الشــدة والجـــد .. وهى لذلك تستقر فى باطن العقول ، وتنطبع فى أعماق النفوس ، وتستولى على المشاعر والوجدان ، وتحكم سلوك الناس أزمانا طويلة .

---

(١) صحيح البخارى ــ الجزء الأول .

ولا شك ان الوحى من اخطر ما عرفته البشرية من احـداث فرادى وجماعات ، اذ انه شيء يتعلق بحياتهم الحاضرة ومصيرهم الأبدى .

وما كان الوحى لينزل على رسـول الله وهم فى لهو وسرور وعنـه غافلون ، لا يعبأون به ولا يدرون من امره شيئا .

لكن تجـربة الوحى معهم كانت تلازمها دائما شـدة وتنبيه خاص يهيىء السبيل لطبع آياته فى عقولهم ، ونقش تعاليمه فى افئدتهم .

ولقد كان هذا هو حال موسى الذى كان يغطى وجهـه وتتغير هيئته فزعا من خطورة الموقف .

ففى أول وحى تلقـاه موسى — كما تذكر أسفاره :

غطى موسى وجهه لأنه خاف — خروج ٣ : ٦ » .

« وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معـه . فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع، فخافوا ان يقتربوا اليه . .

ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعـل على وجهـه برقعا — خروج ٣٤ : ٢٠ — ٣٣ » .

وتتكلم عن ذلك أسـفار العهد الجـديد فتقول : « كان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى انا مرتعب ومرتعد — عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

ولقد كانت تجـربة الوحى شـديدة على الرسـول كحالة غير عادية تفـرض عليه ، فيعانى من شدتها ما يعـانى . وفى هذا قال عبادة ابن الصامت :

« كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه » .

وقال زيد بن ثابت — كاتب رسـول الله : « انزل (الوحى) على رسول الله وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى » (١) .

وقال ابو اروى الدوسى : رايت الوحى ينزل على النـبى وانه على

---

(١) تفسير ابن كثير .

راحلتــه ، فترغو ، وتفتــل يديها حتى اظن ان ذراعها تنقصم فربما بركت وربما قامت موتدة يديها ، حتى يسر عنه من ثقل الوحى ، وأنه ليتحدر منه مثل الجمان » (١) .

ولم تكن شدة الوحى امرا تفــرد به موسى ومحمد دون غيرهما من انبياء الله ، انمــا كانت ظاهــرة مشتركة خبروها جميعا ، وان اختلفت مقادير شدتها ووقعها .

ويزيدنا القــرآن توضيحا لمــا حدث لموسى فى أول وحى تلقــاه ، فنعلم أنه كان يعانى من ضيق صدره لهول ما تعرض له كيانه البشرى فى تجــربة ذلك الاتصال الروحى العــالى . وبعد أن خفت عليــه شــدة التجربة ، وبدأ يملك زمام نفسه — انطلق لسانه بالدعاء الى الله أن يشرح له صــدره حتى يهون عليه أمر الوحى ، ويطيقه دون اجهاد :

« قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى » (طه : ٢٥—٢٦) .

ولقد من الله على رسول الاسلام اذ شرح له صدره ، ومكنه بذلك أن يطيق ثقل الوحى ويتحمل الضيق والشدة التى تلازم نزوله ، فقال :

« ألم نشرح لك صــدرك ... » (الشرح : ١) .

*

وبين موسى ومحمد نجــد مصابيح كثيرة من الأنبياء عرفت الشــدة عند حــدوث الوحى ونزول الروح الملائكى من السماء وصــمدت لتلك الحــال .

ولقد راينا سابقا كيف تلقى ايليا وحى السماء وسط جو مفــزع حدثت فيه « ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور.. وبعــد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار .. وبعد النــــار صوت منخفض خفيف . فلمــا ســـمع ايليــا لف وجهــه برداءه — الملوك الأول ١٩ : ١١ — ١٣ » .

وراينا كيف كانت شدة الوحى مع اشــعياء ، وكيف عامله المــلاك

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد — بيروت ١٩٦٠ — الجزء الأول — ص ١٩٧ .

بعنف لدرجة انه كوى شفتيه بالجمر الملتهب ، حتى يهيئه لتلقى الوحى وحمل الرسالة الى شعبه :

« طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد اخذها بملقط ومس بها فمى وقال ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك .

ثم سمعت صوتا قائلا من ارسل ومن يذهب من اجلنا . فقلت هانذا ارسلنى .. فقال اذهب وقل لهذا الشعب ــ اشعياء ٦:٦ــ٩ » .

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك ويقول :

« حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه وصوت اجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد باخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم . فحملنى الروح واخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة على .

فجئت الى المسببين .. وحيث سكنوا هناك سكنت سبعة ايام متحيرا فى وسطهم ــ حزقيال ٣ : ١٢ ــ ١٥ » .

ولم تكن معجزات المسيح تجرى على يديه فى اى وقت شاء ، ولكنها حدثت كما ارادها الله توقيتا وكيفية ، وهيا لها المسيح بما امده من روح وقوة . وحين كان يفتقد المسيح ذلك المدد الالهى فانه كان يعجز تماما عن فعل المعجزات حتى ولو وقف فى مجال التحدى امام اعدائه والمستهزئين به من اليهود :

« كانوا يعثرون به : فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيته .

ولم يقدر ان يصنع هناك ولا قوة (معجزة) واحدة ــ مرقس ٦ : ٣ ــ ٥ » .

« خرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق اقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية ــ مرقص ٨ : ١١ ــ ١٢ » .

ولكن حين يستقبل المسيح ذلك الفيض الالهى ، ويهيا بذلك لصنع المعجزة فانها حين تحدث تصاحبها معاناة نتيجة لما يفقده المسيح من طاقة يحسها ويشغل نفسه بها :

« وامرأة تنزف دم منذ اثنتى عشرة سنة .. لما سمعت بيسوع جاءت فى الجمع من ورائه ومست ثوبه .. فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها انها قد برئت من الداء .

فللوقت التفت يسوع بين الجمع **شاعرا فى نفسه بالقوة التى خرجت منه** وقال من لمس ثيابى :

فقال له تلاميذه انت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسنى وكان ينظر حوله ليرى التى فعلت هذا .

وأما المرأة فجاءت وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله — مرقس ٥ : ٢٥ — ٣٣ » .

ولقد كان جبريل ينزل بالقرآن ، يوحى به الى الرسول ويقرؤه عليه آيات مفصلات . وكذلك كان ينزل جبريل بغير القرآن ليعلم الرسول أمورا تختص به وبدعوته ، ولقد كان أكثر نزوله فى رمضان حين كان يدارس الرسول القرآن .

قال ابن عباس : « كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الريح من المرسلة » (١) .

ولقد شاهد المسلمون الأوائل صورا كثيرة من هذا التعليم السماوى ، حدثت احداها حين كان الرسول فى جمع من صحابته واذا بجبريل قد اقبل على مجلسهم متمثلا رجلا شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يبدو عليه آثار السفر . وقد كان فى هيئة بشرية ترتاح لها النفوس وتطمئن لها القلوب ، وبدأ جبريل تعليمه بأسلوب المناقشة التى تقوم على طرح السؤال على الرسول ، وتلقى الجواب منه ، ثم التعليق عليه . وبذلك يتشوق السامعون لمعرفة الاجابات التى شغلتهم اسئلتها ، فتستقر المعرفة فى ذاكرتهم . قال أبو هريرة :

« كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال :

ما الايمان ؟ قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال صدقت — قال : ما الاسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد

---

(١) صحيح البخارى : الجزء الأول .

الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال صدقت .

قال : ما الاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال صدقت .

قال : متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . وسأخبرك عن أشراطها . ثم أدبر . فقال (النبى) ردوه على . فلم يروا شيئا .

فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم » (١) .

ومن هذا الوحى وأمثاله علم الرسول المؤمنين تفاصيل الدين وبين لهم حدود الشريعة ، وضرب لهم المثل فى القول والفعل ، واستن بذلك سننا وجب على المسلمين اتباعها والسير على هداها .

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول الله :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » . (الحشر : ٧)

*

ويستطيع الانسان أن يجمع ما يمكن جمعه من الأسفار والكتب المقدسة ثم ينظر فيها جميعا ، فلن يجد كتابا مثل ((القرآن)) يعلم قارئيه ويقنعهم بمختلف الأدلة والبراهين — انه كلام الله الذى نزل على رسوله وحيا ، وهو آيات الله البينات التى تلاها النبى العربى على مسامع العالمين :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما . لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا » . (النساء : ١٦٣ — ١٦٦)

« قال انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ،

---

(١) صحيح البخارى ومسلم — الجزء الأول .

فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »
(الكهف : ١١٠)

« كذلك ارسلناك فى أمـة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليـه متاب » . (الرعد : ٣٠)

« قل انمـا أنذركم بالوحى ، ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون»
(الأنبيـاء : ٤٥)

« قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى هـذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهـة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحـد واننى برىء مما تشركون » . (الأنعـام : ١٩)

وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلمـا وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليـه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السـموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما » . (الفـرقان : ١ ــ ٦)

* *

ولابد لمن يدرس موضـوع « الوحى فى القـرآن » ان يقف طويلا امام عدد من الآيات المحكمات يتدبرهن ، ويفكر مخلصا مع نفسه فيما تنطق به ، ولسوف يخـرج من ذلك بنتائج محـــددة تبصره تماما بحقيقة الوحى فى القـــرآن .

وتتصدر هـذه الآيات ، تلك الدعوة الالهية الصريحة الى النـاس أن يتدبروا القـرآن ويعوا آياته ، وعنـدئذ سيعلمون أنه قول « الحق » الذى لا جهالة فيه ولا اضطراب ولا تناقض ، وانه مبرأ عن كل ما ينسب لقـول البشر من قصور واختلاف :

« أفلا يتدبرون القـرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيـه اختـلافا كثـيرا » . (النساء : ٨٢)

« يا أيهـا النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون .. وأن كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسـورة من مثله

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـــار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .
(البقرة : ٢١ ، ٢٣ — ٢٤)

ومن الواضح ان هــذا التحـــدى القــرآنى لا يقتصر على من كذب بالقــرآن من الأعراب الذين عاصروا نزوله ، وحاولوا اللغو فيه والالحــاد فى آياته ، انمــا هو تحد يلقـــاه كل من يكفر بالقرآن منذ تنزلت آياته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد أوجز القــرآن موضوع التحدى هـــذا فى كلمــات قليـــلة حين قال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـــذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . (الاسراء : ٨٨)

ولا يستطيع عاقل يعلم اقل القليــل من سـيرة الرسول وتواضعه وخلقــه ، او حتى لا يعلم شيئا من ذلك ، ثم يغفــل عمايذكره القــرآن عن الكذابين من مدعى النبوة والرسالة الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا ان وحى الحق تنزل اليهم — فقد جعــل القــرآن هؤلاء بحق اظلم الظالمين :

« ومن اظــلم ممن افترى على الله كذبا ، او قال أوحى الى ولم يوح اليــه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم ، اليــوم تجــزون عذاب الهــون بما كنتم تقــولون على الله غير الحــــق وكنتم عن آياته تستكبرون .

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقــد تقطع بينكم وضـــل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام : ٩٣—٩٤)

« فمن اظلم ممن افترى على كــذبا أو كذب بآياته ، أولئـــك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنـــا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشـــهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين .

قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النـــار ،

كلمـا دخلت أمـة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنـا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » . (الأعراف : ٣٧ — ٣٨)

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أولئـك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، الا لعنـة الله على الظالمين . .

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . لا جـرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون » . (هود : ١٨ ، ٢١ — ٢٢)

« ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به ، وأسروا الندامة لمـا رءوا العـذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » .
(يونس : ٤٥)

وما كان الانسان ليصـل بظلمـه غاية مداه فيفترى على الله الكذب ويقول حسبنا أملاه عليه هواه ثم يترك مسترسلا فى ضلالاته دون عقـاب يصيبه فى الدنيا قبـل الآخرة .

ونعلم من القـرآن أن محمدا لو تقـول على الله شـيئا من عنده ، لجاءه القتـل عقابا سريعا لا راد له من الله :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخـذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . (الحاقة : ٤٤—٤٧)

ونجد توراة موسى تذكر أن الموت العـاجل لابد وأن يباغت كل من يدعى كذبا انه نبى لله يتلقى وحيه ويتكلم زورا باسـمه .

« أما النبى الذى يطغى فيتكلم باسـمى كلاما لم أوصـه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهـة أخرى ، فيموت ذلك النبى — تثنية ١٨ : ٢٠ » .

وواضح أن الموت هنـا يقصـد به القتل أو الموت العاجل الذى ينهى حياة مدعى الرسالة ، ولا يمكن ان يعنى ذلك الموت الطبيعى الذى ينتظره كل النـاس .

فعندما يقول الله عن مخلوق انه « يموت » فان هـذا يعنى أنه يقتطع من الأرض بأحد الوسائل التى تعجل بنهايته مثل القتل أو الغرق ونحوه ، لأنها جميعا وسائل تفضى الى الموت العاجل .

ونعلم ذلك من شواهد كثيرة منها أنه عندما أراد الله هلاك قوم نوح قال له :

« نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض قد امتلأت ظلما منهم . فها أنا مهلكهم مع الأرض .. ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت ..

وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض .. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض .. كل ما في أنفه نسمة روح حياة كمن كل ما في اليابسة مات — تكوين ٦ : ١٣ ، ١٧ / ٧ : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ » .

ومن الواضح أن الموت هنا تم عن طريق الغرق الذي لا يعتبر موتا طبيعيا ، كذلك يعني الموت احداث الوفاة عن طريق المرض أو القتل ، كما يتبين ذلك من قصة أبيمالك الذي حاول اغتصاب سارة زوجة ابراهيم :

« وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي . فأرسل أبيمالك ملك جرار واخذ سارة فجاء الله الى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل .. فقال يا سيد أمة بارة تقتل . ألم يقل هو لي انها أختي ..

فقال له الله في الحلم .. الآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردها فأعلم انك موتا تموت وأنت وكل من لك — تكوين ٢٠ : ٢ — ٧ » .

وتؤكد أسفار موسى نفس المعنى للموت ، كما ورد في حكم من يحاول قتل صاحبه :

« اذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت — خروج ٢١ : ١٤ » .

فالمقصود بالموت هنا هو القتل ..

ويتبين مما جاء ذكره في كل من الكتاب المقدس والقرآن ان احدى العلامات التي يعرف بها مدعي النبوة الذي يكذب على الله ، هو أن يقتلع من الأرض قبل أن يتم دعوته ويكون ذلك بالموت قتلا أو نحوه . ولا يمكن أن يعني هذا أن كل من عجل بنهايته ومات قتيلا من الأنبياء بأنه قد كذب على الله ، ولكن العكس في رأيي — هو الصحيح وهو أن كل من كذب على الله فقد اقتلع من الأرض قبل الأوان .

ومن ناحية اخرى فاننا نجد فى الكتاب المقدس علامة اخرى هامة يعرف بها النبى الصادق صاحب رسالة الحق الى العالمين ، وهي أن الله يمسك بيده ويحفظه من كل شر حتى يتمم رسالته ويخرج من أرسل اليهم من الظلمات الى النــور :

« هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب نسمة الساكنين فيها روحا .

انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهــدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيــون العمى لتخرج من الحبس المــأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمــة ــ اشعياء ٤٢ : ٥ ــ ٧ » .

ويقول الله لرسوله فى القرآن :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فمـــا بلغت رسالته ، **والله يعصمك من الناس** » . (المــائدة : ٦٧)

فهذا وعد صريح للرســول بانه لن يوجد من يعجل بالقضاء عليه من الناس . وقد انبأت آيات القرآن بالنصر المؤكد للرسول ودعوته فى الدنيا والآخرة . وما على الذين رفضوا قبول تلك النبوة حجودا ومكابرة الا أن يفعلوا بانفسهم ما يشاءون من شنق وغيره ، لعل فى ذلك ما يطفىء غيظ القــلوب المكابرة :

« **من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخــرة** ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر ، هل يذهبن كيده ما يغيظ » .
(الحج : ١٥)

« يريدون أن يطفئـــوا نور الله بأفواههم **ويابى الله الا ان يتم نوره** ولو كــره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظره على الدين كلــه ولو كره المشركون » . (التوبة : ٣٢ ــ ٣٣)

واستمرت آيات الله تنزل على الرســول حتى اكتملت دعوته وبلغ الأمر غايته ، ونزل قول الله :

« **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينــا** » . (المــائدة : ٣)

من كل ما سبق نستطيع القول بان ادعاء النبوة والقول زورا بتلقى الوحى من الله انمـا هو امر خطير ، تعجل عقوبته فى الدنيا قبل الآخرة ، فيقطع ذلك المدعى من الأرض قبل أن يتمم دعوته .

* *

وخلاصة القول فى موضوع الوحى أن وسائله كثيرة وطرقه متنوعة ، تشابهت جميعها فى اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولا يصح لأحد ان يؤمن بها هنا وينكرها هناك ، او يسلم بصدقهـا فى كتاب مقدس ثم يجحد امرها فى كتاب سماوى آخر .

فلم يكن الوحى الى النبى محمد خروجا عن المـألوف الذى تعرض له الأنبياء السابقون فى هـــذا المجـــال ، ولا محـل — اذن — للتعجب او الاستنكار . وانمـا العجب حقـا يتمثـل فى موقف الجاحدين للوحى المحمـدى من الكفار أيام الرسول وممن لا يزال على كفره بالنبى ورسالته من اشياعهم حتى اليوم . وهنـا يستنكر « الحق » موقف هؤلاء وهؤلاء الذين جهلوا حالات الوحى وتاريخ النبوات أو تجاهلوها عن عمد فيقول :

« الـر تلك آيات الكتـاب الحكيم . أكان للنـاس عجبا أن أوحينا الى رجل منهن أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم، قال الكافرون ان هـــذا لساحر مبين » . (يونس : ١ — ٢)

والحق أن الوحى المحمـدى استمرار للوحى الى الأنبياء السابقين ، لا عجب فى حالاته ولا غرابة فى وسائله وكيفياته . وصدق الله اذ يقـــول لنبيـــه :

« انا أوحينا اليـك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ان الوحى تجارب خاصة وحالات غير عادية تعـرض لهـا رجال الله المصطفون الأخيـار ، واحتملوا شدتها وبأسـها ، وبلغوا للنـاس ما امروا بتبليغه اليهم ، فكان هديا ونورا للعـالمين .

* * *

الفصل الثالث

الجن

الجن

يتفق بعض المؤمنين على الايمــان بالجن ، وقدراته الخارقة ، بينما اهتز ذلك الايمان ــ ان لم يكن قد انتهى تمــاما ــ عنــد اغلب المؤمنين ، فصاروا يعتبرون الكلام عن الجن وامكانية وجوده وتاثيراته فى عالمنــــا المحسوس كأنهــا ضرب من الأساطير القديمــة والشــعوذة التى لا يقبلها العقل المتقــدم لانسان القرن العشرين .

ومنذ فجر التاريخ حتى يومنا هــذا نجد ان الانسان قد تعامل مع الجن ، واتصــل به وحاول استغلال قدراته الهـــائلة فى تحقيق رغباته ، واستطلاع الغيب ، واحداث الظواهر العجيبة التى هى خوارق لمــا اعتاد عليه النـــاس ، فتصيبهم بالدهشة والحيرة وتستولى على عقولهم .

ذلك هو السحر الذى يعد من اقدم علوم البشرية وتجاربها مع عوالم المخلوقات الأخرى الخفية .

ولسوف نبحث موضوع الجن من خلال ما تذكره الكتب المقدسة .

* *

الجن فى العهــد القديم

١ ــ استعمل فرعون سحرته وعرافيه لياتوا بسحر واعاجيب تقف امام الإعاجيب التى اجراها الله على يد موسى واخيه هارون ، حتى يثبت لشعبه ولبنى اسرائيل قدرته وتفوقه . فحين حــول موسى عصاه ثعبانا « فعل عرافوا مصر ايضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين ــ خروج ٧ : ١١ ــ ١٢ » .

وحين حــول موسى وهارون ماء النهر الى دم « فعــل عرافوا مصر كذلك بسحرهم فاشــتد قلب فرعون فلم يســمع لهما كما تكلم الرب ــ خروج ٧ : ٢٢ » .

وحين ملأ موسى وهارون الأرض بالضفادع « فعــل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا ، الضفادع على ارض مصر ــ خروج ٨ : ٧ » .

٢ ــ من اجل ذلك حذرت شريعة موسى من التعامل مع الجن تلك الأرواح الخفية التى غالبا ما تضل المؤمنين :

« لا تلتفتوا الى الجان ولا تطلبـــوا التوابع فتتنجسوا بهم — لاويين ١٩ : ٣١ » .

ولقد فرضت التوراة أقصى العقوبات على النفس البشرية التى يمتلك الجـان فيها حظا سواء كان ذلك طوعا بارادتها ، أو كرها أجبرت عليـه بتسلط الجان على تلك النفس . ولقد بلغت العقوبة حد القتل رجما :

« النفس التى تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى ورائهم أجعـل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها ..

اذا كان فى رجـــل أو امرأة جان أو تابعـة فانه يقتـل بالحجارة ، يرجمونه ، دمه عليه — لاويين ٢٠ : ٦ ، ٢٧ » .

٣ — ولقد ذهب عن شاول — أول ملك فى بنى اسرائيـل — الروح الملائكى الكريم الذى أكرمه الله به ، وحل عليه روح شيطانى شرير عقابا له على عصيانه أوامر الله . وكانت روح الشر تخف حدتها ويهـدأ ما تثيره من اضطراب فى نفس شاول حين تستمع الى الضرب بالعود الذى تميز به داود نبى الله وملك اسرائيـل فيما بعد :

« وذهب روح الرب من عند شاول وبغتـه روح ردىء من قبـل الرب ، فقال عبيـد شاول له هـــذا روح ردىء من قبـل الله يبغتك . فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ..

فجاء داود الى شاول ووقف أمامه .. وكان عندما جاء الروح من الله على شاول أن داود أخذ العود وضرب بيـده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردىء — صموئيل الأول ١٦ : ١٤ — ٢٣ » .

*

وتروى الأسفار حكاية غريبة كل الغرابة عن تأثير الجان وتابعيه من الانس ، وتسلطهم على أرواح المـوتى بمـا فى ذلك الأنبيـــاء ، فقد حدث « فى تلك الأيام أن الفلسطينيين جمعوا جيوشهم لكى يحاربوا اسرائيل » . وكان صموائيل النبى قد مات ، ولم يجـد شاول من يستشيره فى الأمر ، ويسأل الله له النصر . وعنـــدئذ ذهب شاول ليبحث عن أحد السحرة أو العرافين لعـل أحدا منهم يقـدم له العون ، رغم أنه كان فى أيام صلاحه مع الله قد « نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض » . ولقد « سـأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبيـــاء . فقال شاول لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها فقال له عبيـــده هوذا امرأة صاحبة جان فى عـين دور . فتنكر شاول

وذهب الى المرأة ليـلاً وقال اعرق لى بالجان واصـعدى لى من اقـول لك .. فقالت المرأة من اصعد لك فقال اصعدى لى صموئيل : فلمـا رات المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم .. فقال لها الملك لا تخافى . فمـاذا رأيت . فقالت المرأة لشاول رأيت آلهـة يصعدون من الأرض . فقـال لهـا ما هى صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة . فعـلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد . فقال صـموئيل لشاول لمـاذا أقلقتنى باصـعادك اياى . فقال شـاول قد ضاق بى الأمر جـداً . الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى ولم يعـد يجيبنى لا بالأنبيـاء ولا بالأحـلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل ولمـاذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك . وشـق المملكة من يديك واعطاها لقريبك داود .. ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين وغداً انت وبنوك تكونون معى ويدفع الرب جيش اسرائيل ايضا ليـد الفلسـطينيين . فأسرع شاول وسقط على طوله الى الأرض وخاف جـداً من كلام صموئيل ــ صموئيل الأول ٢٨ : ١ ــ ٢٠ » .

ان هـذه القصة تطرح كثيرا من التساؤلات فيما يتعلق بمصيرالانسان بعد الموت ، وهى تصدم ولا شك الملايين من اصحاب العقائد غير اليهودية، وخاصة اذا علمنا من أسفار موسى وغيره ، أن الهـاوية مكان مفزع ، ودار عذاب فى باطن الأرض .

فقد قال موسى عن قوم اخطأوا الى الله : « ان ابتدع الرب بدعـة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحيـاء الى الهـاوية تعلمون أن هؤلاء القـوم قـد ازدروا بالرب . فلمـا فرغ من التكلم بكل هـذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم . وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح من كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهـاوية وانطبقت عليهم الأرض فبـادوا من بين الجمـاعة ــ عدد ١٦ : ٣٠ ــ ٣٣ » .

وقال داود لابنه سليمان فى وصيته الأخيرة : « انت أيضا تعلم ما فعل بى يوآب ابن بصرويه فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهـاوية .

هوذا معك شمعى بن جيرا البنيامينى وهو لعننى لعنة شـديدة .. فلا تبرره لأنك انت رجل حكيم فاعلم ما تفعل به واحدر شيبته بالدم الى الهـاوية ــ الملوك الأول ٢ : ٥ ــ ٩ » .

فمن ذلك يتبين ان الايمان بالجن ووجوده وتاثيره فى الانسان يمثل احدى العقائد التى تقوم عليها أسفار العهد القديم .

* * *

الجن فى العهد الجديد

يذكر الانجيل ان المسيح اخرج شياطين — وهى ارواح شريرة من الجن — من جسد بعض المجانين . وقد حلت تلك الشياطين فى جسد قطيع من الخنازير فأغرقته فى البحر :

« ولما جاء الى العبر .. استقبله مجنونان خارجان من القبور وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . **فالشياطين** طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه — متى ٨ : ٢٨ — ٣٢ » .

« وشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة **واخرج شياطين كثيرة** — مرقس ١ : ٣٤ » .

« ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين **فاخرج الأرواح** بكلمة وجميع المرضى شفاهم — متى ٨ : ١٦ » .

« **وكان يخرج شيطانا وكان ذلك اخرس** . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس . فتعجب الجموع . واما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين — لوقا ١١ : ١٤ — ١٥ » .

*

وتكون العرافة ومحاولة التنبؤ بالغيب التى تثير عجب الناس — هى احدى مظاهر تعامل الجن مع الانسان :

« حدث بينما كنا ذاهبين الى الصلاة أن **جارية بها روح عرافة** استقبلتنا وكانت تكسب مواليها مكسبا كثيرا بعرافتها . هذه اتبعت بولس وايانا وصرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيدالله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص .. فضجر بولس والتفت الى الروح وقال انا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . فخرج منها . فخرج فى تلك الساعة — أعمال الرسل ١٦ : ١٦ — ١٨ » .

ويحاول ابليس — كبير الشياطين — ان يدخل فى صراعات ومجادلات مع كل الخلق بغيــة الفتنة والاضلال حتى مع الملائكة :

« أما ميخائيل رئيس الملائكة فلمــا خاصم ابليس محاجا عن جسـد موسى الم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب — رســالة يهــوذا : ٩ » .

« من يفعــل الخطيــة فهو من ابليس لأن إبليس من البدء يخطىء — (١) رسالة يوحنا ٣ : ٨ » .

❊

مما سبق يتضح أن أسفار العهد الجديد تعترف بالجن وقدراته ، بل وتعتبره سببا للكثير من الامراض الصعبة التى تصيب الانسان مثل : الجنون والخرس . ولمــا كان الانسان ميــالا بطبعه الى استطلاع الغيب ومعرفة احداثه قبل وقوعها فانه يصاب بالدهشة ويقف عقله جامدا امام القدرات الخارقة التى تظهر فى هــذا المجال من العــرافين والمتنبئين ، وذلك حين يعجز عن تفسير هــذه الظواهر التى تعتبر على أساس ما سبق بيــانه نوعا من الالقــاء او الوحى من الجن الى الانسان .

❊ ❊ ❊

الجن فى القــرآن الكريم

خلق الله الانسان الأول — آدم — من مادة التراب ثم نفــخ فيــه الخلاق العظيم من روحه فدبت فيه الحياة بكل معانيها .

ومن قبــل خلق الله الجن من طبيعة اخرى غير الطبيعة الانسانية . فلقد خلقت الجن من طبيعة طاقيــة ذات صبغة حرارية عالية الدرجة ، كتلك التى نحسها من النار المتأججة شديدة النفاذية :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمــأ مسنون . والجــان خلقنــاه من قبل من نار السموم » . (الحجر : ٢٦ — ٢٧)

وللجن اهتزازه الخاص به ، وتلك خاصية من خواص الطــاقة التى نعرفها اليــوم فى صــورها المختلفة من حرارة ، وضــوء ، وكهــرباء ، ومغناطيسية .. الخ .

فلكل من هذه الطاقات اهتزازه ، أو ذبذبة تتحدد بها .

فعنـدما تلقى موسى الرسالة ، أمره الله أن يلقى عصاه ، واذا بهـا تتحول الى حيـة تهتز يمنـة ويسرة كأنها جان ، الأمر الذي أفزع موسى :

« وأن الق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبـل ولا تخف انك من الآمنين » . (القصص : ٣١)

ولقد كان ابليس واحدا من الجن ثم تقرب الى الله بالعبادة وانقطـع لهـا . لكنه فتن بعد خلق آدم حين داخله الكبر والغرور فعصى الله وكفر وتحول الى شيطان :

« واذ قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . (الكهف : ٥٠)

ويقصر بصر الانسان عن مشاهدة الجن فى صورته الطاقية وما ذلك الا لأن ذبذبة طاقته عاليـة جـدا الى الدرجـة التى تخرجها عن نطـاق ذبذبة الضوء التى يحسها الانسان :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (الأعراف : ٢٧)

والجن عالم اقل ما يوصف به انه مماثل لعـالم الانسان بما فيـه من حيـاة وموت ، وعلم وعمـل ، وايمـان وكفر . وللجن رسالات وفيه مرسـلون .

« واذ صرفنا اليـك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلمـا حضروه قالوا أنصتوا ، فلمـا قضى ولوا الى قومهم منـذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لمـا بين يديه ، يهدى الى الحـق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنـوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » . (الأحقاف : ٢٠ — ٣١)

وتقـول الجن :

« وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنـا طرائق قددا » .
(الجن : ١١)

ويقول الله للجن والانس يوم القيامة :

« يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين » . (الأنعام : ١٣٠)

ولقد اتصل الانس بالجن ، وسخر كل منهم الآخر لمصالحه ومتعه الخاصة ، وظهر السحرة من بنى الانسان يفسدون فى الأرض ويفتنون الناس عن دين الله . ولقد توعد الله أمثال هؤلاء من الانس والجن بالعذاب المهين يوم القيامة :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »
(الجن : ٦)

« ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . (الأنعام : ١٢٨)

ومن الجن من تسلط على نفر من الانس ، وصار يوحى اليهم سيء الاقوال وفواحش الأفعال فحول الانسان بذلك الى شيطان يضل الناس عن طريق الحق :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعمتوهم انكم لمشركون » .
(الأنعام : ١٢١)

ومن الانس شياطين تناظر — ان لم تتفوق فى شرورها على — شياطين الجن وخاصة فى مجال الفتنة وبلبلة الخواطر . وذلك حين :

« يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » .
(الأنعام : ١١٢)

ومن الجن من يعمل قرينا للانسان يلازمه طول حياته ويعلم دخائل نفسه . وهو الذي يوسوس للانسان بمختلف الوساوس والشكوك ويزين له طريق الشر .. ثم يوم القيامة يختصم الانسان مع قرينه امام الله ، ويلقى كل منهما اللوم على صاحبه :

« وقال قرينه ربنـــا ما اطغيته ولكن كان فى ضـــلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيــــد . ما يبـدل القـول لدى وما أنا بظـلام للعبيد » . (ق : ٢٧ — ٢٩)

وحتى اذا ما انتهى الأمر يوم القيــامة وانصرف كل لينال جزاءه ، فان ذلك القـرين الشيطانى ســـوف يظـل يلقى اللوم على صاحبــه من بنى الانسان ويتهمه بالضعف والاستجابة لاغرائه ثم يتبرأ من فعله :

« وقال الشيطان لمـا قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليــكم من سلطان الا أن دعوتكم فاســتجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم » . (ابراهيم:٢٢)

ومن الانسان من يستطيع التغلب على وساوس قرينه فينجو بنفسه من عذاب يوم القيامة ، بينما يهلك ذلك القرين فى العذاب المهين :

« فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين . أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون .

قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله ان كدت لتردين . ولولا نعمــة ربى لكنت من المحضرين » .
(الصافات : ٥٠ — ٥٧)

من اجل ذلك كان جهاد النفس ومحاولة التغلب على وساوس القرين واغراءاته المستمرة من اشـــق انواع الجهـاد . وقد عرف لذلك باســم الجهاد الاكبر .

وانا لنجد فى حقيقة القرين هذه التفسير المقبـول لظاهرة تحضـير الارواح .

ولا تكون الروح التى يحس بها شهود الجلسة — وهى تحكى بالكلام أو الكتــابة أو غيره تاريخا من المــاضى ، أو تبـــدى رأيا فى الحـــاضر ، أو استطلاعا للمستقبل — لا يكون ذلك كلــه سوى قرين الجن لذلك الميت الذى اقترن اســمه بتلك التجربة .

ولقد كانت الجن تحاول استراق الســـمع ، ومعـرفة ما يدور فى السماوات العلى ثم تلقى بما يتراءى لها من تلك المعرفة — زيادة اونقصانا ، صدقا كلــه او خالطه الكذب — الى اقرانهم من بنى الانسان الذين تحدثوا

عندئذ فى الغيبيات ، وما كان ينتظر العالم من احداث ، فصدقوا قليــلا وكذبوا كثيرا .

« هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » .
(الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٣)

لكن الجن بدات تعانى المتاعب فى محاولاتها استراق السمع منــذ بدا نزول القــرآن . وفى هــذا قالت الجن :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشـهبا . وأنا كنـا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشــدا » .
(الجن : ٨ — ١٠)

« لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .
(الصافات ٨ — ١٠)

وللجن علوم ومحاولات لغزو الفضاء واستطلاع للمجهول ، تناظر على الاقل — ان لم تتفوق على محاولات الانسان فى هــذا المجال :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » .
(الرحمن : ٣٣)

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد « السلطان » مرادفا للعلم المعجز الذى استقرت اسسه ، وظهرت حقائقه ، وبان خطره للناس :

« أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم أن كنتم صادقين » .
(الصافات : ١٥٦ — ١٥٧)

كذلك اعترفت الجن بعجــزها عن الهــروب وتخطى قيــود المكان والأبعــاد :

« وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا » .
(الجن : ١٢)

ومن رحمة الله بالانسان أن سخر له أرواحا من الملائكة تحفظه من أذى الأرواح الشريرة من الجن وغيره . ولولا ذلك لتسلطت تلك الأرواح الخبيثة على كل البشر ، وعطلت الحياة على الأرض محاولة توجيهها لغير ما خلقه الله :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام : ٦١)

« ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » .
(الانفطار : ١٠ — ١٢)

ومن رحمة الله التي وسعت كل شيء أن أوكل تلك الحفظة بالناس أجمعين سواء كانوا مؤمنين أو كافرين :

« ان كل نفس لما عليها حافظ » . (الطارق : ٤)

ولا يزال الانسان في حفظ من تلك الأرواح الشريرة الا أن يشاء الله به شيئا آخر ، وعندئذ يمسه السوء وتصيبه تلك الأرواح بالأذى تماما كما يصيبه الأذى المادى الذى يلقاه من المخلوقات التى يعرفها ويحس مادتها مثل الانسان والحيوان وغيره :

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله » .
(الأعراف : ١٨٨)

❋

وخلاصة القول في موضوع الجن أن المؤمنين مطالبون — حسبما تبينه الكتب المقدسة — بالايمان بوجود الجن وقدراته وتأثيره في الانسان .

❋ ❋ ❋

الخلاصة

لقد اجمعت الأديان الثلاثة : وهى اليهودية والمسيحية والاسلام على ان الملائكة مخلوقات علوية تستطيع الظهور فى هيئة بشرية متمثلة اشباها من الرجال ، كما يستطيع بعض الصالحين من البشر مشاهدتها فى طبيعتها النورانية .

وللملائكة علاقة وطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته ، كما أنهم قرناؤه ، رقباء على افعاله له حافظين كراما كاتبين ، يعلمون كل افعاله ومختلف نشاطاته .

وللملائكة علوم ، وعليهم تكاليف ، ولهم مشاعر واحاسيس ، ويملكون ارادة وتدبيرا . ولقد كان أبرز أفعالهم هو التعامل مع عبيد الله المختارين من الأنبياء والصالحين وتعهدهم بالتعليم والهداية والرعاية .

*

كذلك اتفقت الديانات الثلاث على ان الوحى تعليم الهى خاص ، وانه المصدر الرئيسى الذى تعلم منه الانسان حقيقة الايمان .

وللوحى طرق مختلفة ووسائل متنوعة منها : الرؤيا المنامية ، والتعليم المباشر من الملائكة فى صورتها البشرية ، والتعليم بصوت من الملائكة فى طبيعتها النورانية ، وتعليم الملائكة فى خفاء ، والكلام « من وراء حجاب » وحلول الروح على العبد الصالح فيرسل لسانه ما استقبلته احاسيسه ، ثم النفث فى روع العبد الصالح فيفيض الحق على لسانه بما وعاه وجدانه .

والوحى تجربة شخصية ارتبطت اولا واخيرا بمن تعرض لها ، وهى قد فرضت فرضا من السماء ولم تات قط بمشيئة انسان ، ولذلك اقتضت رحمة الله بخلقه أن يختار الذين اختصهم بوحيه ــ من عبيده الأنبياء والمرسلين ــ من صفوة خلقه الذين إشتهروا بين الناس برجاحة العقل وحسن الخلق وطيب المنظر والمخبر والسمو عن كل صغار . ولما كان الشىء الذى يهم البشرية هو نتاج الوحى ، فمن ثم وجب أن يوضع هذا النتاج موضع التدبر والتمحيص ، حتى يميز الناس الخبيث

من الطيب ، فيقبلون المنهج الذى يشكل حياتهم الدنيوية ويحدد مصيرهم الأبدى عن قناعة وايمـان .

❋

ولقد درجنا خـلال هـذا الكتاب على التقديم بشىء يسير من القول يعين على فهم نصـوص الكتب المقدسة التى نعـرض لهـا . والشىء المؤكد الآن هو أن ما عرضناه فى فصلى الملائكة والوحى يعتبر تقديما يعيننا على استيعاب آية واحدة من القرآن الكريم نزلت تعليما الهيا من الله ـ سبحانه ـ الى رسوله محمد خاتم النبيين ، آية تقول :

((قل ما كنت بدعا من الرسـل ، وما ادرى ما يفعـل بى ولا بكم ، ان اتبـع الا ما يوحى الى ، وما انا الا نذير مبين)) (١) .

وما علينا بعد ذلك الا ان نقول وكلنـا ايمـان ويقـين : صدق الله العظيم .

❋

هـذا ـ ولما كانت هناك مخلوقات خفية تستطيع التداخل فى حياة الانسان ، كان لزاما أن نذكر شيئا عن **الجن ، تلك المخلوقات التى اجمعت الديانات الثلاث على حقيقة وجودها وبينت الكثير من خصائصها وامكاناتها التى تتعدى ـ فى مجالات المقارنة ـ قدرات الانسان .**

ويكفى ان نذكر للذين تستهويهم الخوارق والالاعيب ما يقوله الانجيل على لسـان المسيح :

((رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ـ لوقا ١٠ : ١٨)) .

وهو ما ذكرته الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس :

((ان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور ـ ١١ : ١٤)) .

❋

هـذا ـ وبعد ان عرضنا ركيزتين من ركائز الايمـان همـا : الملائكة والوحى ورأينا كيف تآلفت فيهما اليهودية والمسيحية والاسـلام ، فان ما ينتظرنا هو عرض الركيزة الثالثة التى تجمع هـذا وذاك ثم تزيد عليـه بمـا يحقق أمن الانسان وسـعادته فى الدنيـا والآخرة ـ الا وهى النبوة والأنبياء ـ والذى ارجو ان تكون هى الجزء الثانى من هذه السلسلة .

❋ ❋ ❋

(١) سورة الأحقاف : ٩ .

قائمة المراجع الرئيسية

١ ـ صحيح البخارى .

٢ ـ تفسير ابن كثير .

٣ ـ لسان العرب ـ طبعة بيروت ـ ١٩٥٦ .

٤ ـ الطبقات الكبرى ـ طبعة بيروت ـ ١٩٦٠ .

٥ ـ تاج العروس ـ طبعة بيروت ـ ١٩٦٦ .

٦ ـ الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة .

*

7— ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959

8— ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960

9— C. H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, fontana books, London, 1964.

* * *

الفهـــرس

صفحة

* * *

كتب للمؤلف

❋ **العلوم الذرية الحديثة فى التراث الاسلامى .**
٢٣٢ صفحة ـ مكتبة وهبة ـ ١٤ شارع الجمهورية ـ القاهرة .

❋ **المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .**
٣٢٨ صفحة ـ مكتبة وهبه .

❋ ❋ ❋

رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٧٧ / ١٩٧٩
الترقيم الدولى ٢ – ٣٦٢ – ٢٥٦

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني - ت ٤٧٤٨٦

هــــذا الكتاب

* فى هذا العصر .. تأكدت **ازمة الحضارة الغربية** نتيجة لطغيان المادية وتمرد **الانسان** على الله . وهى الآن تنحدر بعد ان افسدت الانسان ومسخته .. وفى هـــذا التفاعل المضطرب يجار المصلحون بالدعوة الى تجديد الايمان كعلاج وحيد لمشكلة الانسان .

* لقد عرفت البشرية الايمان اساسا عن طريق **الأنبياء** والمرسلين وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى كانت للملائكة فيه اليد الطولى . من اجل ذلك نستفتح بهذا الكتاب الذى يحدثنا عن ركيزتين للايمان هما « **الملائكة** » و « **الوحى** » بالاضافة الى حديث عن « **الجن** » لعلاقتها بالانسان ..

* وفى دراستنا لهذه الموضوعات فى **اليهودية والمسيحية والاسلام** سوف نرى فى اى النقاط تتفق تماما وفى ايها يوجد ائتلاف أو اختلاف . ومهما يكن من أمر فلسوف نرى فى النهاية ان **دين الله واحد** .

* وهنا نقول ما يقوله **الدكتور نظمى لوقا** فى مقدمة كتابه « **محمد : الرسالة والرسول** » : « من يغلق عينيه دون النور ، يضير نفسه ولا يضير النور . ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضير عقله وضميره ولا يضير الحق » ..